رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

سفينة النجاة

لطالب الخشوع في الصّلاة

لفضيلة الشيخ
عبد العزيز بن عبد الكريم العقل

تقديم فضيلة الدكتور
ناصر بن عبد الكريم العقل

مدار الوطن للنشر
www.madar-alwatan.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

سفينة النجاة

لطالب الخشوع في الصلاة

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع
محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٠ هـ ٢٠٠٩ م

مدار الوطن للنشر

www.madaralwatan.com

الدائري الشرقي | مخرج ١٥ | ٢ كم غرب أسواق المجد

الرياض : الملز / ت : ٤٧٩٢٠٤٢ (٥ خطوط) - فاكس : ٤٧٢٣٩٤١
السويدي ت ٤٢٦٧١٧٧ فاكس ٤٢٦٧٣٧٧ فرع جدة ت ٠٢٦٨٧٠٦٧٩ فاكس ٠٢٦٨١٧٣٨٦
مندوب الرياض : ٠٥٠٣٢٦٩٣١٦ - مندوب الغربية : ٠٥٠٤١٤٣١٩٨
مندوب الشرقية والدمام : ٠٥٠٣١٩٣٢٦٨ مندوب الجنوبية : ٠٥٠٤١٣٠٧٢٧
مندوب الشمالية والقصيم : ٠٥٠٤١٣٠٧٢٨
مندوب التوزيع الخيري للمنطقتين الجنوبية والشرقية : ٠٥٠٨٣٩٩٨٥٧
مندوب التوزيع الخيري لباقي مناطق المملكة : ٠٥٠٦٤٣٦٨٠٤
لطلبات الجهات الحكومية : ٠٥٠٠٩٩٦٩٨٧

الموقع على الإنترنت : www.madaralwatan.com
البريد الإلكتروني : pop@madaralwatan.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

سفينة النجاة

لطالب الخشوع في الصلاة

لفضيلة الشيخ

عبدالعزيز بن عبدالكريم العقل

تقديم فضيلة الدكتور

ناصر بن عبدالكريم العقل

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، القائل في كتابه الكريم: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٢].

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، القائل ﷺ: **«إن المصلي يناجي ربه فلينظر أحدكم ما يناجي ربه»**(١).

وبعـد:

فإنه كلما تعلق قلبُ المسلم بالدنيا وببهارجها غفل عن ذكر الله، وشكره، ومما يلاحظ في زماننا قلة الخشوع في الصلاة بين الناس، ومن أعظم أسباب ذلك كثرة الملهيات والمشغلات في حياة الناس اليوم، من أحداث مثيرة، ومشكلات معقدة، ومفاجآت مقلقة، وأهواء مضلة، أو غنى مطغ، أو فقر منس.

مما أحوج المسلمين إلى تذكيرهم بأهمية الخشوع، وأحكامه، وآدابه، وثماره، في أعظم شعائر الدين الظاهرة، وهي الصلاة ركن الإسلام وعموده.

(١) الحديث يأتي تخريجه ص (٢٩).

وهذا الكتاب الذي بين يدينا إسهامٌ في علاج هذا الموضوع كتبه فضيلة شيخنا: عبدالعزيز بن صالح العقل الداعية المعروف – حفظه الله ورعاه -.

وقد تميز كتابه هذا بالإيجاز والوُضوح، واستيفاء الجوانب التي تهم عامة القراء، بأسلوب علمي ووعظي مؤثر، كما هي عادة الشيخ – حفظه الله – في دروسه ومحاضراته ومواعظه.

هذا وأسأل الله تعالى أن يجزي مؤلفه ومقدمه وكل من أسهم في إخراجه خير الجزاء وأحسنه.

وأن يوفق المسلمين جميعاً إلى ما فيه خيرهم وفلاحهم وصلاحهم في الدنيا والآخرة، وصلى الله وسلم وبارك على خير من صلى وصام نبينا محمد وآله وصحبه.

وكتبه

ناصر بن عبدالكريم العقل

١٤١٥/٥/٥هـ

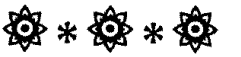

تعريف الخشوع:

الخشوع في اللغة:

الخشوع في أصل اللغة:

الانخفاض والذل والسكون، قال الله تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [طه: ١٠٨]، أي: سكنت وخضعت، ومنه وصف الأرض بالخشوع، وهو يبسها وانخفاضها وعدم ارتفاعها بالري والنبات، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً﴾ [فصلت: ٣٩] (١)، والخشوع قريب من الخضوع، غير أن الخضوع في البدن؛ بينما الخشوع ينتظم جوارح العبد جميعها، والخاشع هو الذي يُرى عليه أثر الذل لله.

الخشوع في الشرع:

قال ابن القيم رحمه الله: «**الخشوع قيام القلب بين يدي الرب بالخضوع والذل، والخشوع محله القلب، وثمرته على الجوارح**» (٢).

* إذاً فالخشوع هو لين القلب، وسكون خواطره وإرادته الرديئة التي تنشأ عن اتباع الهوى، وانكسارُه لله، فيزول ما فيه من التعاظم والترفع والتكبر؛ فهو التزام عملي بطاعة الله وترك معاصيه.

* واعلم ـ أرشدك الله ـ أن الخشوع عندما يذكر في الصلاة ليس المقصود به البكاء، كما يتبادر لمفهوم كثير من الناس، وإن كان البكاء ثمرة من ثمراته.

---

(١) مدارج السالكين، لابن القيم (١/ ٥٥٨).

(٢) المرجع السابق.

لكنه حضور القلب، وسكون الجوارح عن كل شيء خارج عن الصلاة.

الأدلة على أهمية الخشوع وفضله:

* لا شك أن الخشوع سمةٌ بارزة، ومطلبٌ عزيز، يبذل المؤمن الناصح لنفسه الغالي والنفيس، ويقدم كل ما يملك ويستطيع بكل جهد وتضحية في الحصول عليه، إن كان من الذين: ﴿يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩]، ومن الذين وصفهم الله بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤].

* إذ إن الخشوع من صفات الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام –، كما في قوله – جل وعلا –: ﴿وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وهو من صفات أتباعهم الذين يَقْفُون أثرهم، ويتبعونهم بإحسان: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ١٨]، وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠].

* ومن هنا كان للخشوع أهمية بالغة، وله فضائل ومزايا متعددة وكثيرة.

* ولعلك أخي المحب – لازلت موصولاً بما تحب – نعرض عليك طرفاً مما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ في هذا الشأن:

أولاً – الأدلة من الكتاب:

١ – قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، جاءت هذه الآية بعدما ذكر الله عدداً من الأنبياء، كلاً على انفراده، من تفريج كربهم، وانتصارهم على أعدائهم، وإجابته لدعائهم.

٢ – قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧- ١٠٩]، وفي هذه الآيات وصفَ اللهُ أهلَ العلم من قبلنا بالخشوع حين سماع ما أنزل الله، وهذا من باب الثناء عليهم.

٣ – قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦]، وقد عاتب الله سبحانه في هذه الآيات عباده المؤمنين عتاباً لطيفاً مصحوباً بالرجاء وحسن الظن به، محذراً عباده المؤمنين أن ينهجوا منهج أهل الكتاب في قسوة قلوبهم وشدة غفلتهم، قال ابن مسعود ﷺ: «**ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية إلا أربع سنين**»(١).

* وهذه الآية الكريمة لها أثرٌ عظيمٌ على قلوب كثير من السلف ولين قلوبهم، وانكسار نفوسهم تذللاً، وإخباتاً للعلي الأعلى، وما هذه الآية إلا عتابٌ مؤثرٌ من المولى الكريم الرحيم، واستبطاء للاستجابة الكاملة من تلك القلوب التي أفاض الله تعالى عليها من فضله، فبعث رسوله ﷺ يدعوها إلى الإيمان بربها، وأنزل عليه الآيات البينات ليخرجها من ظلمات الغفلة إلى نور اليقظة.

* إن هذه الآية عتابٌ فيه الرحمة، وفيه الحض، وفيه التذكير بعظمة البارئ سبحانه، والخشوع لذكره تعالى، وتلقي ما نزل من الحق بما يليق بجلال الحق وعظمته من الطاعة والخشية والاستسلام والإذعان له.

---

(١) أخرجه مسلم (١٨/ ١٦٢- نووي).

* وفي هذه الآية تحذيرٌ من عاقبة التباطؤ والتقاعس عن الاستجابة، وبيان لما يغشى القلوب من الصدأ والغفلة حين يمتد بها الزمن بلا تفحص ومتابعة، وما تنتهي إليه من القسوة بعد اللين حين تغفل عن ذكر الله، وحين لا تخشع للحق، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٦]، وليس وراء قسوة القلوب إلا الفسق والغفلة.

٤ – قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٢]، والخشوع في الصلاة هو: حضور القلب بين يدي الله تعالى، مستحضراً لقربه، فيسكن لذلك قلبه، وتطمئن نفسه، وتسكن حركاته ويقل التفاته، متأدباً بين يدي ربه، مستحضراً جميع ما يقوله ويفعله في صلاته، من أول صلاته إلى آخرها، فتنتفي بذلك الوساوس والأفكار، وهذا روح الصلاة ولبها، والمقصود منها، وهو الذي يكتب للعبد، فالصلاة التي لا خشوعَ فيها ولا حضور قلب، وإن كانت مجزية مثاباً عليها، فإن الثواب على حسب ما يعقل القلب منها [١].

٥ – قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾، المعنى استعينوا بالصبر على الطاعات، وعن الشهوات على نيل رضوان الله، وبالصلاة على نيل الرضوان، وحط الذنوب، وعلى مصاب الدهر أيضاً، ومنه الحديث: «**كان رسول الله ﷺ إذا كربه أمر فزع إلى الصلاة** [٢]»، وقوله: ﴿وَإِنَّهَا

(١) تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي (٥/ ٣٣٢- ٣٣٣).

(٢) أخرجه أحمد ٥/ ٣٨٨، وأبو داود ٢/ ٣٦- رقم ١٣١٩ بلفظ «إذا حزبه أمر صلى»، وابن نصر

لَكَبِيرَةٌ ﴾ على أيّ شيء يعود الضمير؟ قيل: على الصلاة، وقيل: على الاستعانة التي يقتضيها قوله: ﴿ وَٱسْتَعِينُوا ﴾، وكبيرة معناها ثقيلة شاقة .. »[1][2].

٦ – قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱسْتَعِينُوا بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٥٣]، هنا يوجه الله المؤمنين من عباده أن يستعينوا على مصاعب هذه الحياة، ومتاعبها، بهذين الأمرين الكبيرين؛ فهما خير زاد في هذه الدنيا:

الأمر الأول: الصبر.

والأمر الثاني: الصلاة، وما أدراك ما الصلاة: إنها هي المعين الذي لا ينضب، والزاد الذي لا ينفد، المعين الذي يجدد الإيمان، والزاد الذي يزود القلب ويقويه، إنه لابد للإنسان الفاني الضعيف المحدود أن يتصل بالقوي الباقي العظيم، يستمد منه العون، واللطف، والرحمة.

المروزي في تعظيم قدر الصلاة ١/ ٢١٣، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود ١/ ٢٤٥.

(١) تفسير المحرر الوجيز لابن عطية ١/ ٢٠٤- ٢٠٥- ٢٠٦ بتصرف .

(٢) قال الشيخ عبدالرحمن الدوسري تعليقاً على هذه الآية: «وأما الاستعانة بالصلاة فلكونها أنفع الوسائل إلى حصول المأمول، وإرجاع النفس إلى الله؛ لما لها من التأثر المعنوي، والروحي؛ لأن فيها معارج روحية للمصلين الصادقين، ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾، فهي تنهى عن الفحشاء والمنكر، لما يحصل فيها من مراقبة الله في السر والنجوى، وحسبك بعبادة يناجي صاحبها ربه في اليوم بضع مرات، أو أضعافها نافلةً، ولذا نجد المصلي الحقيقي لا يترك الحق لشهوة نفس، أو خوف من أحد، بل لا يبالي بما يلاقيه من المشاق والمتاعب؛ ذلك أن الصلاة فيها صلة عظيمة بالقوة الخفية (بالله تعالى)، صلة بين العبد وربه، يستمد منها قلبه قوة معنوية، وتجد فيها نفسه زاداً أحسن وأغلى من جميع أغراض الدنيا، وتحس فيها روحه بطمأنينة ويقين، فهي ينبوع في متناول المؤمنين، تؤمن لهم زاد الطريق، وتسهل عليهم ظمأ الهواجر، وهي المدد الروحي حين ينقطع المدد المادي؛ فتكون للمؤمنين خير عوض .. » ا. هـ. صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم ٢/ ١١٣.

* حينما يثقل عليه جهد الاستقامة على الطريق بين دفع الشهوات وإغراء المطامع، وحينما تثقل عليه مجاهدة الطغيان والفساد، وهي عنيفة.

* حينما تطول به الطريق، وتبعد به الشُّقَّة في عمره المحدود، ثم ينظر، فإذا هو لم يبلغ شيئاً، وقد أوشك المغيب، ولم ينل شيئاً، وشمس العمر تميل للغروب.

* حينما يجد الشر نافشاً، والخير خاوياً، ولا شعاع في الأفق، ولا معلم في الطريق، ولا بزوغ في الفجر إلا بمدد من الله.

* **هنا تبدو قيمة الصلاة**.. إنها مفتاح الكنز الذي يوصل لكل خير في الدنيا والآخرة بالحياة الإيمانية، فهي الطريق الأقوم، والمنهاج الأسلم، لمزيد الحسنات ورفع الدرجات وتكفير السيئات.

* إنها الرُّوح، والندى، والظلال في الهاجرة، إنها اللمسة الحانية للقلب المتعب المكدود.. ومن هنا كان رسول الله ﷺ إذا كان في الشدة قال: «**أرحنا بالصلاة يا بلال**»[١]، ويكثر من الصلاة إذا حزبه أمر[٢]؛ ليكثر من اللقاء بالله.

* إن هذا المنهج الإسلامي منهج عبادة، والعبادة فيه ذات أسرار، ومن أسرارها:

أنها زاد الطريق، وعتاده.

وأنها جلاء القلب، وصفاؤه.

---

(١) يأتي تخريجه في معرض ذكر الأسباب المعينة على الخشوع – السبب السادس .

(٢) يأتي تخريجه والكلام عليه في صفحات بعد هذه وذلك في معرض ذكر الأدلة من السنة.

وأنها مدد الروح، ومداده.

وأنه حيثما كان تكليفٌ كانت العبادة (الصلاة) هي مفتاح القلب، لتذوق هذا التكليف في حلاوة، وبشاشة، ويسر.

* إنَّ الله سبحانه حينما انتدب محمداً ﷺ للدور الشاق الثقيل، قال له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ١-٥]، فكان الإعداد للقول الثقيل، والتكليف الشاق، والدور العظيم هو قيام الليل، وترتيل القرآن.

* إنها العبادة التي تفتح القلب، وتوثق الصلة، وتيسر الأمر، وتشرق بالنور، وتفيض بالعزاء والسلوى، والراحة، والاطمئنان [١].

٧ – وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣]، فيتجهون بالعبادة لله وحده، ويرتفعون بها عن عبادة العباد، وعبادة الأشياء، يتجهون إلى الله، ويحنون جباههم له لا للعبيد، والقلب الذي يسجد لله حقاً، ويتصل به على مدار الليل والنهار، يستشعر أنه موصول السبب، ويجد لحياته غاية أعلى من أن تستغرق في الأرض وما فيها من زخرف فان.

٨ – وقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩]، «أمن هو قانت» أي: يا من هو قانت، والقانت: القائم بما يجب عليه من الطاعة، «أناء الليل»: ساعات الليل: أوله، ووسطه، وآخره.

---

(١) من ظلال القرآن – بتصرف.

وفي هذه اللفظة تنبيه على قيام الليل، ويؤكده وجوه:

١- أنَّ عبادةَ الليل أستر عن العيون؛ فتكون أبعد عن الرياء.

٢- أنّ الظلمة تمنع من الإبصار، ونوم الخلق يمنع من السماع.

٣- أن الليل وقت النوم؛ فتركه يكون أشق؛ فيكون الثواب أكثر.

واعلم أن هذه الآية دالة على أسرار عجيبة؛ فأولها أنه بدأ منها بذكر العمل وختم فيها بذكر العلم، أما العمل فكونه قانتاً ساجداً قائماً، وأما العلم فقوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾. وهذا يدل على أن كمال الإنسان محصور في هذين المقصودين [١]، والمسلم حين يقوم من الليل يكون حاضر القلب، صافي الذهن، هادئ البال، عند ذلك يكون داعي الخشوع أقرب، فالقلب يخشع والعين تدمع، وكم من دمعة أعيت صاحبها نهاراً، فخارت ونزلت ليلاً، وهذا معنى قول أحد السلف: «أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم، ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا» [٢].

وهذه الآيات الثمان أوردناها كالمثال المقصود لخشوع الصلاة، وإلا فالآيات الدالة على الخشوع كثيرة.

ثانياً – الأدلةُ من السنة على فضل الخشوع وأهميته:

١ – عن مطرف بن عبدالله الشخير عن أبيه ﷺ قال: «**رأيت رسول الله ﷺ يصلي، وفي صدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء**» [٣].

---

(١) التفسير الكبير، للفخر الرازي (٢٦/ ٢٥٠).

(٢) القائل هو أبو سليمان الداراني – وهو أحد العباد المشاهير، ت(٢٠٥).

(٣) رواه أحمد (٤/ ٢٥)، أبو داود (٣/ ١٧٢- عون المعبود)، والنسائي (٣/ ٢١٣)، وابن خزيمة (٢/ ٥٣)، وابن حبان (٢/ ٤٤٠)، وصححه النووي، وقال الحافظ إسناده قوي، وقال شعيب

غريب الحديث:

أ – قوله «**كأزيز المرجل**»: قال أبو عيسى: «أزيز المرجل: صوته، يريد غليان جوفه بالبكاء» (١).

ب – قوله «**المرجل**»: بكسر الميم، وسكون الراء، وهو قدر من نحاس، أو حديد، أو خزف.

- **فائدتان نفيستان من الحديث:**

أ – في الحديث ثمرة من ثمرات الخشوع في الصلاة، ألا وهي البكاء من خشية الله، إذ إن الرسول ﷺ وهو الذي قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، يصلي، ويسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء، ولا غرابةَ في ذلك، ولا عجبَ، فمن كان بالله أعرف كان منه أخوف، فينبغي لك ـ أخي طالب الخشوع ـ أن تتأسى بحبيبك وقدوتك محمد ﷺ، فأنت صاحب الذنب والخطيئة، فإن لم تتسنَّ لك هذه الثمرة فلا أقل من أن تحضر قلبك، وتعمل جاهداً على طرد الوساوس والخطرات الخارجة عن الصلاة.

ب – ويفهم من الحديث أن البكاء من خشية الله، وإن ظهر معه صوت، لا يخل بالصلاة.

٢ – عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: «**ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد بن الأسود، ولقد رأيتنا وما فينا قائم، غير رسول الله ﷺ، يصلي، ويبكي**

الأرناؤوط: إسناده قوي.

(١) شرح السنة (٣/ ٢٤٥).

حتى أصبح»[١].

من فقه الحديث:

أ – مداومة الرسول ﷺ على قيـــام الليل امتثالاً لأمر مولاه، إذ قال له: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ [الإسراء: ٧٩]، وإذا كان الرسول ﷺ يؤمر بالصلاة والتهجد بالقرآن ليبعثه ربه المقام المحمود وهو المصطفى، فما أحوج الآخرين إلى هذه الوسائل؛ لينالوا بها عند ربهم الدرجات العلى والنعيم المقيم.

٣ – عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال في مرضه: «**مروا أبا بكر يصلي بالناس**»، قالت عائشة: قلت: إن أبا بكر إذا قام في مقامك لم يسمع الناس من البكاء..»[٢].

أ – قال النووي: «فيه فوائد، منها: فضيلة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وترجيحه على جميع الصحابة – رضوان الله عليهم أجمعين –، وتفضيله، وتنبيه على أنه أحق بخلافة رسول الله ﷺ، ومنها أن الإمام إذا عرض له عذر عن حضور الجماعة استخلف من يصلي بهم، وأنه لا يستخلف إلا أفضلهم»[٣].

ب – جواز المعاريض إذا كان ذلك لغرض صحيح، حيث عرَّضت عائشة برقة قلب أبيها إذا قام يصلي، ومقصوده ألا يتشاءم الناس به بعد رسول الله ﷺ.

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ١٢٥)، وابن حبان (٦/ ٣٢)، وابن خزيمة (٢/ ٥٢- ٥٣)،ورواه أبو يعلى بسنده (١/ ٢٤٢)، وقال أحمد شاكر في تحقيقه للمسند: إسناده صحيح (٢/ ٢٢٢) برقم (١٠٢٣).

(٢) رواه البخاري (٢/ ٢٠٦- فتح)، مسلم (٤/ ١٢٧- نووي).

(٣) شرح مسلم (٤/ ١٢٧).

ج – أن البكاء في الصلاة من صفات المخبتين، فتستشعر قلوبهم رهبة الموقف في الصلاة بين يدي الله، فتسكن، وتخشع، فيسري الخشوع منها إلى الجوارح، وعن ابن مسعود ﷺ أنه رأى رجلا يصلي يكثر الحركة، ويعبث في لحيته، فقال ﷺ: «لو خشع قلب هذا، لخشعت جوارحه».

٤ – عن يوسف بن عبدالله بن سلام ﷺ، قال: «أتيت أبا الدرداء في مرضه الذي قبض فيه، فقال: يا ابن أخي! ما جاء بك؟ قال: قلت: لا، إلا صلة ما كان بينك وبين والدي عبدالله بن سلام، قال: بئس ساعة الكذب هذه سمعت ﷺ يقول: «**من توضأ، فأحسن الوضوء، ثم قام، فصلى ركعتين، أو أربعاً – يشك سهل – يحسن فيها الركوع والخشوع، ثم يستغفر الله، غفر له**»[(١)]، وفي رواية: «**من توضأ، فأحسن الوضوء، ثم صلى ركعتين، يقبل عليهما بقلبه ووجهه، وجبت له الجنة**» [(٢)]، وفي رواية: «**من توضأ كما أمر، وصلى كما أمر، غفر له ما قدم من عمل**» [(٣)].

من فوائد هذا الحديث:

١ – الوصية بإحسان الركوع والخشوع، وأن من أدى الصلاة على هذا الوصف فقد استحق المغفرة والرحمة من ربه تعالى، وهو الكريم الرحيم.

٢ – أن الصلاة في هذا الحديث تصدق على الفرض والنفل، وإن كان

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٤٥٠)، وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٣٣١)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (ص٩٦- ص١٥٦).

(٢) أخرجه النسائي (١/ ٩٥).

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٤٤٣)، والنسائي (١/ ٩١)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب.

ظاهر الحديث في النافلة، إلا أن الفريضة أحق بذلك وأولى، فما تقرب المتقربون وعبدوا ربهم بشيء أحب إليه تعالى مما افترضه عليهم، وقد جاء في الحديث القدسي [١]: «**وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه**».

٣ – وكما أن المأمور فيه الواجب، فكذلك فيه المسنون، فينبغي للمتوضئ وللمصلي أن يجتهد في حصول المأمور من واجب ومسنون.

٤ – قوله: «**من توضأ كما أمر**» يدل على أهمية المتابعة لأمر الله ورسوله ﷺ في كل شيء، ومن ذلك الوضوء والصلاة؛ كما يدل على أن من نقص من المأمور أو زاد عليه فإنه ينقص ثوابه، ويأثم بذلك، ويدل عليه حديث عبدالله ابن عمرو رضي الله عنهما، وفيه بعدما ذكر صفة وضوء النبي ﷺ ثم قال: «**هكذا الوضوء، فمن زاد على هذا فقد أساء وظلم، ـ أو ظلم وأساء ـ**» [٢]، والشاهد من الحديث قوله ﷺ: «**يحسن فيهن الركوع والخشوع**»، وقوله ﷺ: «**يقبل عليهما بقلبه**»، وقوله ﷺ: «**وصلى كما أمر**»، ففي هذه الروايات الثلاث إشعار واضح بأهمية الخشوع وفضله، فحقيق باللبيب الصادق – أن يعي هذا ويفهمه، وأن يذكره، ولا ينساه، وأن يجمع همه في الصلاة.

٥ – عن عثمان رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «**ما من امرئ تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها، وخشوعها، وركوعها، إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب، ما لم يؤت كبيرة، وذلك الدهر كله**» [٣].

---

(١) وهو قطعة من حديث أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة (١١/ ٧٤).

(٢) أخرجه أبو داود (١/ ٣٣، رقم ١٣٥)، والنسائي في الكبرى (١/ ٨٢، رقم ٨٩)، وابن خزيمة (١/ ٨٩، رقم ١٧٤)، والطحاوي (١/ ٣٣)، والبيهقي (١/ ٧٩، رقم ٣٧٨).

(٣) أخرجه مسلم جـ(٣/ ١١٢- نووي ٢٢).

من فقه الحديث:

١ – الأمر بالطمأنينة، وإشغال الجوارح بأعمال الصلاة، حتى لا يفسح المجال لفكر أجنبي يدخل على القلب، أو على الجوارح، مما يترتب عليه نقصان الخشوع، أو ذهابه.

٢ – الأمر بإحسان الركوع، وفي ذلك تنبيه بالبعض على الكل، فليس المقصود الركوع وحده، بل المقصود كل أعمال الصلاة، كما قال تعالى: ﴿وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣]، وقال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ﴾ [المرسلات: ٤٨]، والأمر بإحسان الركوع أمر بإحسان الصلاة كلها.

٣ – تأمل قوله ﷺ: «**فيحسن وضوءها، وخشوعها، وركوعها**»، ثم اعلم أن الإحسان في الوضوء الذي هو باب الدخول إلى الصلاة ليس بكثرة إهراق الماء، كما يفعله الجهال والموسوسون، حتى ربما وصل الحال بأحدهم إلى الاعتداء في الوضوء، والخروج به عن حد المأمور، فقد كان رسول الله ﷺ: «**يتوضأ بالمد، ويغتسل بالصاع**» [(١)]، والمد قرابة نصف الكيلو بالميزان المعروف، وبعض العلماء يقدره بملء الكفين المتوسطتين إذا ضمتا إلى بعضهما، والصاع أربعة أمداد، أي كيلوان وخمسة وأربعون جراماً، وهذا في باب الوضوء وغسل الجنابة تقريب لا تحديد، وعلى كلٍّ لا ينبغي السرف؛ لما روى أبو داود من حديث عبدالله بن مغفل ﷺ أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطهور والدعاء**» [(٢)]، قال البخاري: وكره أهل

(١) رواه البخاري جـ(١/ ٣٠٤ – فتح)، ومسلم (جـ(٤/ ٧- ٨ نووي).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ٨٧)، وأبو داود (١/ ١٦٩)، عون المعبود.

العلم الإسراف فيه، وأن يجاوزوا فعل النبي ﷺ[١].

٦ – عن عبادة بن الصامت ﷺ قال: أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**خمس صلوات افترضهن الله ﷻ، من أحسن وضوءهن، وصلاهن لوقتهن، وأتم ركوعهم وخشوعهن، كان له على الله عهد أن يغفر له. ومن لم يفعل فليس له على الله عهد، إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه**»[٢].

ويؤخذ من هذا الحديث:

أ – أهمية الركوع، والسجود، والخشوع، ويكون ذلك بإتمامهن جميعاً، فإتمام الركوع والسجود، والطمأنينة فيهما، وإتمام الخشوع بحضور القلب وسكون الجوارح.

ب – قوله: «**ومن لم يفعل فليس له عند الله عهد، إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه**»، هذا محمول على من فرط بشيء من لوازمها، أي: لم يتم الركوع والسجود والخشوع، أما التارك للصلاة، والمؤخر لها عن وقتها بغير عذر، فقد جاءت نصوص أخرى من الكتاب والسنة تبين مصيرهم، وسوء عاقبتهم، وأن تارك الصلاة كافر، وإليك بعض الأدلة، قال تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ [المدثر: ٤٢، ٤٣].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾، وقال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ﴾، وقال تعالى عن مؤخر الصلاة عن وقتها بغير عذر: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾.

---

(١) البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء جـ(١/ ٢٣٢ فتح).

(٢) أخرجه أبو داود جـ(٢/ ٩٣)، والنسائي جـ(١/ ٢٣٠).

وقال ﷺ : «**بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة**»[١]، وقال ﷺ: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر**»[٢]، والشاهد من الحديث قوله ﷺ: «**وأتم ركوعهن، وسجودهن، وخشوعهن**» حيث عطف الخشوع لأهميته على الركوع والسجود.

٧ – عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**هل ترون قبلتي ههنا؟ فوالله ما يخفى علي خشوعكم ولا ركوعكم، إني لأراكم من وراء ظهري**»، وفي رواية أخرى من حديث أنس ﷺ: «**أقيموا الركوع والسجود، فوالله إني لأراكم من بعدي ـ وربما قال: من بعد ظهري ـ إذا ركعتم وسجدتم**»[٣].

أ – في هذا الحديث معجزة من معجزات المصطفى ﷺ، حيث خصه الله من بين الناس بأنه يرى من أمامه ومن خلفه، وقد يكون هذا الاطلاع لرسول الله ﷺ قلبيًّا.

ب – جواز الحلف من غير استحلاف، قال ابن القيم ﷺ في الهدي: «**وقد حفظ عن النبي ﷺ الحلف في أكثر من ثمانين موضعاً، وأمره الله بالحلف على تصديق ما أخبر به في ثلاثة مواضع**»[٤].

ج – المراد بقوله: «**أقيموا الركوع**»: إقامة الصلاة كلها، وذلك من باب

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه جـ(٢/ ٧٠)، نووي عن جابر بن عبدالله .

(٢) أخرجه الترمذي جـ(٥/ ١٥)، والنسائي جـ(١/ ٢١٣)، وغيرهما من حديث عبدالله بن بريدة عن أبيه وهو صحيح.

(٣) أخرجه البخاري (٢/ ٢٢٥) فتح، ومسلم (٤/ ١٤٩- نووي).

(٤) زاد المعاد (٣/ ٣٠٢).

ذكر الجزء وإرادة الكل، لكن لما كان الركوع في الغالب قد لا يعطيه المصلي حقه، خصه بالذكر، لمزيد الاهتمام.

د – اهتمام الرسول ﷺ بالخشوع في الصلاة، وذلك يظهر من وجهين:

الوجه الأول: أنه ذكر الخشوع مع الركوع، مع أن الركوع ركن؛ وهذا يدل على أهمية الخشوع.

الوجه الثاني: حيث أقسم على ذلك بقوله: «**فوالله ما يخفى عليَّ خشوعكم**». ثم اعلم أن القلب إذا خشع خشع الجسم وجميع الأعضاء معه، وإذا لهى القلب لهى الجسم والجوارح معه.

٨ – عن زيد بن خالد الجهني ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**من توضأ، فأحسن وضوءه، ثم صلى ركعتين، لا يسهو فيهما، غفر له ما تقدم من ذنبه**» [١]، وفي رواية: «**ما من مسلم يتوضأ، فيحسن وضوءه، ثم يقوم، فيصلي ركعتين، يقبل بقلبه وبوجهه عليهما، إلا وجبت له الجنة**» [٢].

أ – قوله: «**يقبل بقلبه وبوجهه عليهما**»، بمعنى لا يلتفت بقلبه بحيث يشتغل بالوساوس الملهية عن الصلاة، ولا يلتفت كذلك بوجهه؛ لأن ذلك مما يفقده الخشوع أو كماله، ففي هذه الجملة الحث على الإقبال بالقلب وبالوجه، وهذا من أقوى الأسباب الجالبة للخشوع في الصلاة.

ب – في الحديث النهي عن الوساوس التي يمليها الشيطان، كي يحرمه

---

(١) أخرجه أبو داود جـ(٣/ ١٧٣) عون المعبود، حسنه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٦١٦٥).

(٢) أخرجه مسلم جـ(٣/ ١١٨ نووي)، من حديث عقبة بن عامر.

الخشوع، ويدعه سابحاً في بحور التفكير ومستنقعات الدنيا؛ لأن المراد بالسهو في قوله: «**لا يسهو فيها**»: هي الوساوس التي يرسلها الشيطان كي يفوت على المسلم استحضار عظمة من هو قانت له، بل مناجٍ له، ساجد راكع لوجهه، فمن غاب عنه هذا المطلب فقد فوَّت على نفسه عظيم الثواب.

ج – أن الذنب المراد بقوله: «**غفر له ما تقدم من ذنبه**»: هي الذنوب، عدا الكبائر؛ فلا بدَّ لها من توبة.

د – أن المقصود بالصلاة هنا: صلاة النافلة، مطلقة كانت أو راتبة، وأما الفريضة فهي أحق وأولى، وأمرها أعظم لمن وفّاها حقها، كما في الحديث القدسي: «**وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه ..**»[1].

٩ – عن عمرو بن عبسة ﷺ قال: «كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة، وأنهم ليسوا على شيء، وهم يعبدون الأوثان، فسمعت برجل في مكة يخبر أخباراً، فقدمت عليه، فإذا رسول الله ﷺ، فذكر الحديث، إلى أن قال، فقلت: «يا نبي الله! فالوضوء، حدثني عنه»، فقال: «**ما منكم رجل يقرب وضوءه، فيمضمض، ويستنشق، فيستنثر، إلا خرت خطايا وجهه من فيه وخياشيمه، ثم إذا غسل وجهه كما أمره الله، إلا خرت خطايا وجهه من أطراف لحيته مع الماء، ثم يغسل يديه إلى المرفقين، إلا خرت خطايا يديه من أنامله مع الماء، ثم يمسح رأسه، إلا خرت خطايا رأسه من أطراف شعره مع الماء، ثم يغسل رجليه إلى الكعبين، إلا خرت خطايا رجليه من أنامله مع الماء، فإن هو قام، وصلى، فحمد الله، وأثنى عليه، ومجَّده بالذي هو له أهل، وفرَّغ قلبه لله**

(١) أخرجه البخاري في الرقاق، فتح (جـ١١ – ٣٤١).

تعالى، إلا انصرف من خطيئته كيوم ولدته أمه» [١].

وهذا الحديث:

أ – يحمل عدة بشائر: أجر عظيم، وثواب كبير، على عمل صالح قليل، ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾، ففيه فضل الوضوء، وما يكفره من الذنوب.

ب – في قوله: «**كما أمره الله**» دليل على أن العبادات توقيفية، فلا يكفي فيها مجرد الاستحسان.

ج – وفيه فضل الثناء على الله تعالى، وحمده وتمجيده، وهذا حاصل في جميع الصلاة، بل إن بناء الصلاة كلها بأركانها وشروطها وواجباتها ومستحباتها قائم على حمد الله، وتوحيده، وتمجيده، لكن الذي قد يفقده المصلي هو فراغ القلب عن معاني الحمد والثناء، وانشغاله أحياناً بأموره الدنيوية الوضيعة، أو الوساوس الضائعة الفاسدة التي لا تشفي العليل، ولا تروي الغليل، فينعدم الخشوع في الصلاة الذي هو لبها وثمرتها، وبانعدام الخشوع ينعدم كثير من الثواب.

د – أن شرط الحصول على هذا الثواب، هو تفريغ القلب عن كل ما هو خارج عن الصلاة.

١٠ – عن عمار بن ياسر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الرجل لينصرف وما كتب له إلا عشر صلاته، تسعها، ثمنها، سبعها، سدسها، خمسها، ربعها،**

---

(١) أخرجه مسلم جـ(٦/ ١١٤).

ثلثها، نصفها»[١].

المعنى لهذا الحديث:

- أن الرجل قد ينصرف من صلاته ولم يكتب له إلا عشر ثوابها، أو تسعها، أو ثمنها.... الخ، بل قد لا يكتب له شيء من الصلاة، ولا تقبل أصلاً[٢]، وصلاته وإن أجزأت في الصورة بحيث لا يؤمر بالإعادة، لكن شتان بين الفلس والدينار، وشتان بين ظلمة الليل وضوء النهار.

- قال ابن القيم رحمه الله: «صلاة بلا خشوع ولا حضور كبدن ميت لا روح فيه، أفلا يستحي العبد أن يهدي إلى مخلوق مثله عبداً ميتاً أو جارية ميتة؟، فما ظن هذا العبد أن تقع تلك الهدية ممن قصده بها من ملك أو أمير أو غيره؟ فهكذا سواء الصلاة الخالية عن الخشوع والحضور وجمع الهمة على الله تعالى فيها بمنزلة هذا العبد، أو الأمة الميت، الذي يريد إهداءه إلى بعض الملوك، ولهذا لا يقبلها الله منه، وإن أسقطت الفرض في أحكام الدنيا، ولا يثيبه عليها؛ فإنه ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها»[٣].

١١ - عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: «**كان إذا حزبه أمر صلى**»[٤].

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٣١٩)، وأبو داود (٣/ ٣) عون المعبود، وابن حبان (٣/ ١٨٢ - الإحسان)، وابن نصر في تعظيم قدر الصلاة (١/ ١٩٦)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٣٣٥).

(٢) عون المعبود في شرح هذا الحديث (٣/ ٣).

(٣) الوابل الصيب (ص١٤).

(٤) أخرجه أحمد (٥/ ٣٨٨)، وأبو داود (٢/ ٧٨) برقم (١٣١٩)، وبن نصر في تعظيم قدر الصلاة (١/ ٢١٣)، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (١/ ٢٤٥).

من دلالات الحديث:

أ – دل على أن الصلاة مفزع رسول الله ﷺ عند الشدائد والملمات، وذلك طلباً من الله أن يكشفها ويفرجها، وهذا المطلب ليس من خصوصيات الرسول ﷺ فقط بل له ولأمته، قال تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]، فأخبر أن الصلاة والصبر عون للخاشعين المتقين على كل ما يتعسر عليهم من أمر الدنيا والدين.

ب – كما أن فيه دلالة على عظم منزلة الصلاة من دين الإسلام، حيث صارت هي المفزع عند الكروب، والملجأ عند الشدائد والصعاب، فكم من نعمة بها استجلبت، وكربة بها فرجت، ودعوة فيها أجيبت!

تساؤلات وجوابها:

* من المصلين من يجول في خاطره تساؤل وإشكال، يقول: إننا كثيرًا ما دعونا في صلواتنا، فلم نَرَ للإجابة أثراً، والجواب على هذا أن يقال: إن الصلاة الصورية التي يقوم بها الجسم، والقلب غافلٌ لاه، يختلف شأنها عن صلاة تؤدى، والقلب حاضر خاشع، فالإنسان لا يؤتىً إلا من قبل نفسه، فلو أن المسلم جاهد نفسه في صلاته، وتدبر أذكارها، واستحضر في قلبه عظم من يقف بين يديه، فإنه سيكسب من هذا صلاح القلب، وانشراح الصدر، والقرب من الله، فلو لم يكن فيها إلا هذا لكفى.

أما الدعاء، فليعلم الداعي أنه حال الدعوة لها ثلاثة أحوال: كما في حديث أبي الخدري ﷺ عن النبي ﷺ، أنه قال: «**ما من مسلم يدعو بدعوة ليس**

فيها إثم، ولا قطيعة، إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث، إما أن يعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها»، قالوا: إذًا نكثر. قال: «**الله أكثر**» (١).

١٢ – عن أبي مسعود الأنصاري ﷺ قال: انكسفت الشمس يوم مات ابن رسول الله ﷺ، فقال الناس: انكسفت الشمس لموت إبراهيم، فقال النبي ﷺ: «**إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينكسفان لموت أحد، ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكر الله، وإلى الصلاة**» (٢).

بعض ما يستفاد من الحديث:

أ – أن الشمس والقمر كما هما آيتان من آيات الله، فكسوفهما آية أخرى من آيات الله.

ب – في الحديث ردٌّ على فرية أهل الشرك الذين يقولون: إن كسوف الشمس وخسوف القمر لولادة عظيم، أو لموت عظيم.

ج – فيه أن الصلاة مفزع المؤمنين عند نزول الشدائد، وعند حلول الكروب، فرضًا كانت أو نفلًا.

د – إنما خصت الصلاة بالفزع إليها عند حصول النوازل، وحلول الكوارث، لأنها هي الصلة بين العبد وبين ربه؛ فهي جامعة شاملة، ففيها التسبيح والتهليل، وفيها الحمد، والتكبير، وفيها تلاوة القرآن، ودعاء الرحمن، يتضمن

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ١٨).

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٥٢٦- ٥٤٥ فتح)، ومسلم (٦/ ٢١٥- نووي).

توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، فإذا أداها المصلي بحضور قلب فلا يكاد المؤدي لها يخطئ مقصوده – بإذن الله تعالى–.

١٣ – عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا نعس أحدكم في الصلاة فلينم، حتى يعلم ما يقرأ**»[١].

أ – **مسألة**: قوله «**فلينم**»، هل هذا خاص بصلاة الليل، أم هو عام في كل صلاة، فرضاً كانت أو نفلاً؟ قال الحافظ ابن حجر ﷺ: العبرة بعموم اللفظ، فليعمل به أيضاً في الفرائض إن وقع، ما أمن بقاء الوقت[٢].

ب – **في الحديث**: للمصلي حض على الخشوع، حيث أمره الرسول ﷺ حالة النعاس، ألا يواصل في صلاته، بل يرقد، ليستجد نشاطه، وليجدد خشوعه، وهذا غالبًا ما يكون في صلاة التهجد في الليل.

ج – وفيه أمر المصلي أن يعلم ما يقوله في صلاته: فيتدبر القرآن، قارئاً كان أو سامعاً، ويتدبر ويتفهم معاني الذكر والتسبيح، فكل هذا من صميم الخشوع، وقد عاب الله على بني إسرائيل تلاوتهم لكتاب الله بدون تدبر وتفكر، ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ﴾ [البقرة: ٧٨].

قال السعدي ﷺ: «**أي ليس لهم حظ من كتاب الله، إلا التلاوة فقط**»[٣].

د – ويفهم من الحديث أن المصلي إذا نعس في الصلاة، فأعطى نفسه

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٥- فتح).

(٢) المرجع السابق.

(٣) تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي (١/ ١٠٠).

راحتها من النوم، فإن أجره أفضل مما لو صلى حالة النعاس؛ لأن الرسول ﷺ لن يرشد أمته إلا لما هو أفضل وأكمل.

١٤ – عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع، وكم من قائم ليس له من قيامه إلا السهر**»[(١)].

المراد من الحديث:

أي من أفطر على لحوم الناس، ولم يحفظ جوارحه عن الحرام والآثام.

وكم من قائم ـ أي: مجتهد ـ ليس له من قيامه إلا السهر، كالصلاة رياءً وسمعةً، ونحو ذلك.

وفي الحديث إشارة:

إلى أهمية أداء الصلاة على صفتها الشرعية الواردة عن الله ورسوله ﷺ، ومن ذلك الخشوع فيها، وإحضار القلب، كي تكون بذلك صلة يستمد منها القلب قوة الإيمان، وتجد فيها النفس زاداً أنفس من أعراض الدنيا الزائلة المهينة.

* وحين يصدق المؤمن مع ربه في صلاته فستكون له ينبوعاً دافقاً، ورياً في الهجير، ومدداً حين ينقطع المدد، ورصيداً حين ينفد الرصيد، وتلك هي صلاة الخاشعين.

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٤١١)، وابن ماجه (١/ ٥٣٩) برقم (١٦٩٠)، وابن خزيمة (٣/ ٢٤٢) برقم (١٩٩٧)، وكلاهما بلفظ «رب صائم ..»، البيهقي والحاكم، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (ص٤٥٣)، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

١٥ – عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**حبب إليَّ من الدنيا: النساء، والطيب. وجعل قرة عيني في الصلاة**»[(١)].

ويستنبط من الحديث:

أ – زهد النبي ﷺ في الدنيا، ومحبته للنساء والطيب مما لا يشغله عن عبادة الله والدعوة إلى سبيله، وفي هذا حض للأمة على هذين المطلبين.

ب – أن الصلاة فرضها ونفلها هي قرة عين الرسول ﷺ، وفي هذا حض للأمة على التأسي به.

قلت: وأما حبه ﷺ للطيب: فلأنه طيب، وكل طيب يحب ما يناسبه من الطيبات ومن الطيب.

أما حبه للنساء: فلما في نكاحهن من المصالح العامة والخاصة، بل كان رسول الله ﷺ يحض على النساء الحرائر، حيث قال: «**تزوجوا الودود الولود؛ فإني مكاثرٌ بكم الأمم يوم القيامة**»[(٢)]، فعن طريقهن روابط المصاهرة والنسب، وعن طريق نكاحهن يقع الإحصان، ويجتنب الحرام، فلذلك يمتن الله على عباده بما يوجده بينهم من الروابط والمودة والرحمة: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم: ٢١].

ج – قوله: «**وجعل قرة عيني في الصلاة**» هذا هو الشاهد، ولا يبلغ الشيء أن يكون قرة عين للمحب له حتى يأنس به، ويرتاح له. فما كل محبوب قرة

---

(١) الحديث أخرجه أحمد (٣/ ١٢٨)، النسائي (٧/ ٦١)، وصححه الألباني صحيح الجامع (١/ ٥٩٩).

(٢) أخرجه أبو داود (٢/ ٢٢٧)، والنسائي (٦/ ٦٥- ٦٦) عن معقل بن يسار – رضي الله عنه .

عين. قال الله تعالى عند دعاء عباده المتقين: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]، فإذا كانت الصلاة هي قرة عين الرسول ﷺ، فمن سار على نهجه واهتدى بهداه، حاز من ذلك بقدر مسعاه.

١٦- عن أبي حازم التمار عن البياضي أن رسول الله ﷺ خرج على الناس وهم يصلون، وقد علت أصواتهم بالقراءة، فقال: «**إن المصلي يناجي ربه، فلينظر أحدكم ما يناجي به ربه**»(١).

دل الحديث على:

أ- قرب المصلي من ربه، مما يدل على علو قدره، وشرفه، وفضله، وذلك بمناجاته ربه، وقد ذكر الله تعالى عن نبيه ونجيّه موسى أنه فضله بالمناجاة، وقربه منه: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢].

فيا لها من نعمة ما أعظمها! ومنحة ما أجملها! أن يتفضل الله سبحانه على المصلي بالمناجاة له.

ب- قال البغوي: «**السنة في القراءة، وفي كل ذكر يأتي به خلف الإمام أن يسمع نفسه، ولا يغلب جاره، قال الشعبي: إذا قرأت القرآن، فاقرأ قراءة تسمع أذنيك، وتفقه قلبك، فإن الأذن عدل بين اللسان والقلب**»(٢).

ج- قال العلامة الكاندهلوي: «قوله ﷺ: «**إن المصلي يناجي ربه**» أي:

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (١/ ٧٧)، والبغوي في شرح السنة (٣/ ٨٧)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (١/ ١٨٣)، وأخرجه أحمد من حديث ابن عمر (٢/ ٣٦- ٦٧- ١٢٩)، وقد صححه الألباني بشواهده في السلسلة الصحيحة (٤/ ١٣٣).

(٢) شرح السنة (٣/ ٨٧).

يحادثه ويكلمه. وهو كناية عن كمال قربه المعنوي، وقيل: عبارة عن إحضار القلب، والخشوع في الصلاة، والمراد به حالة الخضوع، والغرض تنبيه على تحصيله، ولما جهر بعض على بعض بالقراءة مفوّتاً لذلك الخشوع، وهو كان الباعث حينئذ. الحديث نبه عليه خاصة، فقال: **«ولا يجهر بعضكم على بعض في القرآن»**. لأنه فيه أذىً ومنعٌ من الإقبال على الصلاة، قال القاري: والنهي يتناول من هو داخل الصلاة وخارجها»[١].

تأمل أخي هذا الحديث، وتدبر ما فيه من رفعة للمؤمن، وعز، وشرف، يرفعه ذلك الموقف من الثرى إلى الثريا، وقديماً قيل:

ومما زادني شرفاً وتيهاً ... وكدت بأخمصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك يا عبادي ... وأن صيرت أحمد لي نبياً

فسائل أخي المصلي نفسك: أترضى أن تجول حول مزابل الدنيا، وأمتعتها الكاسدة الفانية، والإله العظيم يدعوك إلى فردوسه الأعلى ليقربك منه نجياً؟!

فأي ضياع يماثل إضاعة هذه الفرصة التي قد لا يتسنى للمصلي سواها، فلا تفتح ـ أخي ـ لعدوك على قلبك ثقباً؛ فإن الشيطان لا يزال بذلك الثقب يوسعه، وينفخ فيه، حتى يجعل قلبك ميداناً فسيحاً لوساوسه، وألاعيبه، فكن على حذر من التفريط في هذا الموقف.

١٧ – عن أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**أيها الناس! إن أحدكم إذا كان في الصلاة فإنه مناجٍ ربَّه، وربُّه فيما بينه وبين القبلة**»[٢].

---

(١) أوجز للمالك إلى موطأ مالك (٢/ ٧٧- ٧٨) لمؤلفه محمد بن زكريا الكاندهلوي.

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٥١٣- فتح).

على حذر من التفريط في هذا الموقف.

١٧ – عن أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**أيها الناس! إن أحدكم إذا كان في الصلاة فإنه مناجٍ ربَّه، وربُّه فيما بينه وبين القبلة**»[(١)].

للحديث دلالات منها:

أ – رفع معنوية المصلي، وعلو قدره بالصلاة، وذلك بمناجاة ربه ﷻ.

ب – قرب الله تعالى من عبده المصلي، مع علوه على عرشه، فيكون المصلي محسناً في صلاته، فيستحق أن يكون في معية الله الخاصة، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨].

ج – قوله: «**وربُّه فيما بينه وبين القبلة**»: إشعار بأنه إذا كان ربه فيما بينه وبين القبلة، فالواجب عليه الأدب مع ربه، وعدم الاستسلام والرضوخ لما يمليه الشيطان عليه من الوساوس، والتفكيرِ الخارجِ عن الصلاة[(٢)].

د – في الحديث داعٍ عظيم، وحافز كبير، للخشوع في الصلاة، فأي عز وشرف كهذا العز والشرف! إذ يقف العبد منتصباً ذليلاً خاشعاً خاضعاً مخبتاً لخالقه الكبير المتعال، فمن يستحضر ذلك في صلاته فسيوفق للخشوع والإنابة إلى الله تعالى.

١٨ – عن الحارث الأشعري ﷺ، عن النبي ﷺ: «**أن الله أمر يحيى بن**

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٥١٣- فتح).

(٢) ويحسن التنبيه على أمرمهم كثير الوقوع ألا وهو سوء أدب بعض المصلين حينما يدعوه داع المخاط فتجده يرفع الصوت حين إخراج المخاط فيؤذي من حوله من المصلين والأولى أن يخفض صوته وأن يعظم هذا الموقف.

زكريا بخمس كلمات، أن يعمل بهن، وأن يأمر الناس أن يعملوا بهن، فذكر منهن: وآمركم بالصلاة، فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده ما لم يلتفت، فإذا صليتم فلا تلتفوا» (١).

مدلولات من الحديث:

أ – أن الصلاة كانت مشروعة لمن كان قبلنا، لكن قد تختلف في مؤداها، وفي صفاتها، عن صلاتنا.

ب – في الحديث حث على كمال الأدب مع الله في الصلاة، حيث ينصب وجهه لوجه عبده، ومن الأدب عدم الالتفات في الصلاة.

ج – قال ابن القيم رحمه الله: «**الصلاة المقبولة والعمل المقبول أن يصلي العبد صلاة تليق بربه ﷻ، فإذا كانت صلاة تصلح لربه تبارك وتعالى، وتليق به، كانت مقبولة، وإنما يقوى العبد على حضوره في الصلاة، واشتغاله فيها بربه ﷻ إذا قهر شهوته وهواه، وإلا فقلب قد قهرته الشهوة، وأسره الهوى، ووجد الشيطان فيه مقعدًا تمكن فيه، كيف يخلص من الوساوس والأفكار؟!**» (٢).

١٩ – عن حذيفة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إن الرجل إذا دخل في صلاته**

---

(١) رواه أحمد (٤/ ١٣٠)، والترمذي (٥/ ١٣٦)، وصححه ابن خزيمة في صحيحه (٣/ ١٩٥)، وابن حبان في صحيحه (١٤/ ١٢٤)، الإحسان وأبو داود الطيالسي (٢/ ٥٣)، منحة المعبود، والحاكم في المستدرك (١/ ١١٨) وصححه، والمروزي في كتاب تعظيم قدر الصلاة (١/ ١٧٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٣٥٦)، وقد شرح هذا الحديث العلامة ابن القيم في الوابل الصيب (ص٣٥- ٤٥)، وهو شرح نفيس مفيد، وقال: «في أول الكلام عليه ينبغي لكل مسلم حفظه وتعقله» فراجع كلامه.

(٢) الوابل الصيب (٣٩- ٤١) بتصرف.

أقبل الله عليه، فلا ينصرف عنه حتى ينقلب، أو يحدث حدث سوء»[١].

في هذا الحديث:

أ – بشارة كبيرة، وفضيلة عظيمة، لمن أعطى الصلاة حقها، وأقبل على الله بقلبه وبجوارحه؛ حيث إن الله ﷻ يقبل عليه بوجهه، ومعلوم أن من أقبل الله عليه بوجهه، فهي علامة من علامات توفيق الله له، وقبوله لعمله.

ب – فيه حث على الخشوع في الصلاة، ومعلوم أن من استيقن أن الله يقبل عليه بوجهه، فلن يفرط في الحفاظ على تلك المواجهة العظيمة التي يواجه فيها ذلك العبد الضعيف الفقير ربه، وخالقه الكبير المتعال، فأي شرف وأي عز يماثل شرف ذلك الموقف؟ فحقيق ـ والله ـ بمن علت همته، وعز مطلبه، وصدقت رغبته، أن يعطي ذلك الموقف حقه، وأن يوليه كل رغبته وهمته، فما ظنك لو أراد أحدنا أن يواجه أميراً، أو وزيراً، في أمر من أمور الدنيا، فكيف يكون الموقف أمام الأمير، أو الوزير؟ لا شك أن القلب حاضر، والوجه والجسم متجه إليه، والإطراق حاصل، فبالله عليك! من هو الأحق بذلك، أذلك الأمير، أو الوزير؟ أم رب الأمير والوزير، ورب الجميع سبحانه؟

٢٠ – عن أبي هريرة ﷺ قال: صلى بنا رسول الله ﷺ يوماً ثم انصرف فقال: «**يا فلان! ألا تحسن صلاتك، ألا ينظر المصلي إذا صلى كيف يصلي؟ فإنما**

---

(١) رواه ابن ماجه (١/ ٣٢٧) رقم (١٠٢٣)، وابن خزيمة في صحيحه (٢/ ٦٢)، قال البوصيري: «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات، وله شاهد في صحيح مسلم وغيره من حديث أبي هريرة»، مصباح الزجاجة (١/ ١٩٨)، وقال الألباني: حسن السلسلة الصحيحة (٤/ ١٢٧).

يصلي لنفسه، إني ـ والله ـ لأبصر من ورائي، كما أبصر من بين يدي»[١].

من فقه الحديث:

أ – وجوب إنكار المنكر، وعدم السكوت عليه، لا سيما في الصلاة التي هي عمود الإسلام.

ب – وفيه التشهير بالشخص عند الإنكار عليه، إذا دعت الحاجة لذلك، وفي هذا ردع له، وزجر لغيره، أن يقع فيما وقع فيه ذلك الرجل [٢].

ج – في الحديث حض للمصلي أن ينظر في صلاته، وأن يهتم بها، وأنها من أوثق أعماله الصالحة.

د – النهي عن الاسترسال مع الوساوس؛ إذ هي السبب الأكبر في عدم الخشوع، وعدم تحسين الصلاة [٣].

٢١ – عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**صل صلاة مودع**

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٤٩) نووي.

(٢) وفي هذا أسلوب تربوي دقيق نتلقاه من إمام المربين وقدوة المعلمين في كيفية معاملة الناس عند الأخطاء، وتقدير حجم الخطأ، والتشهير في مقام التشهير عند توافر دواعيه وأسبابه، وفي هذا الأسلوب التربوي دعوة للعاملين والمربين بالنظر الدقيق في كيفية معاملتهم للمواقف وتقدير كل موقف بما هو لائق به إن كان يستلزم القوة والصرامة فذاك، وإن كان يستلزم الرفق واللين والصفح فذاك.

(٣) عقد الإمام النووي باباً على هذا الحديث قال فيه: «باب الأمر بتحسين الصلاة وإتمامها والخشوع فيها»، ثم ذكر من الفوائد لهذا الحديث: «فيه الأمر بإحسان الصلاة والخشوع وإتمام الركوع والسجود» ا. هـ شرح مسلم (٤/ ١٤٩- ١٥٠).

كأنك تراه، فإن كنت لا تراه، فإنه يراك»[١].

من دلالات الحديث:

أ – في الحديث معنىً من معاني الإحسان، كما في حديث عمر الشهير، غير أن حديث عمر عام في كل عبادة، وهذا الحديث خاص بالإحسان في الصلاة.

ب – كما في الحديث أمرٌ للمصلي أن يصلي صلاة مودع ـ بمعنى أن يستشعر في قلبه أنه قد لا يصلي غيرها، حيث تحول الأسباب والموانع من موت وغيره دونها، فما أحلى الاستعداد وما أقبح الغفلة؟ـ فمن وفقه الله لسلوك هذا الباب فقد دخل على الله تعالى من باب رحمته الخاصة بالمؤمنين، ولا شك أن من استعمل عقله ووفقه الله لرشده، وأعاذه من شر شيطانه ونفسه، إذا تذكر أن تلك الصلاة التي بين يديه سيودعها وتودعه بعد الفراغ منها، وداعاً لا رجعة بعده إلى يوم القيامة، ﴿إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ [العاديات: ٩- ١٠]، لا سيما إذا تذكر أن الموت قد ينزل على غرة وغفلة، وهذه هي الحقيقة في غالب الأموات، بأن دهمهم الموت وهم في سكرة الغفلة والشهوات، فمثل هذا حري أن يوفق للخشوع في الصلاة، وحقيق به ألا يلتفت إلى شيء خارج عن لب الصلاة وهو الخشوع، وأن يصلي صلاة تنهاه عن الفحشاء والمنكر.

---

(١) الحديث أخرجه الطبراني في الأوسط، والقضاعي في مسند الشهاب، والبيهقي في الزهد، والحديث سنده ضعيف إلا أن له شواهد يرتقي بها إلى درجة الحسن، راجع سلسلة الأحاديث الصحيحة جـ(٤/ ٥٤٤).

٢٢ – عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان، وله صراط، حتى لا يسمع التأذين، فإذا قضي النداء أقبل، حتى إذا ثوب بالصلاة أدبر، حتى إذا قضي التثويب أقبل، حتى يخطر بين المرء ونفسه، يقول: اذكر كذا، وكذا، لما لم يكن يذكر، حتى يظل الرجل لا يدري: كم صلى؟**»[(١)].

فوائد مستقاة من الحديث:

أ – فيه أن الشيطان يحضر مع المسلم في صلاته؛ لأن له فيها منفذاً إلى قلبه، كي يحول بينه وبين الخشوع فيها، وذلك بأن يذكره الترهات الدنية، والتفاهات الدنيوية، بغية أن يفوت عليه ما هو أعظم وأجل، ألا وهو: الخشوع في الصلاة.

ب – في الحديث فضل الأذان والإقامة، وأنهما يطردان الشيطان.

فائدة:

قال الحافظ ابن حجر ﷺ: «استنبط أبو حنيفة للذي شكا إليه: أنه دفن مالاً ثم لم يهتد لمكانه أن يصلي، ويحرص ألا يحدث نفسه بشيء من أمر الدنيا، ففعل، فذكر مكان المال في الحال»[(٢)].

قال ابن الجوزي ﷺ: «على الأذان هيبة، يشتد انزعاج الشيطان بسببها، لأنه لا يكاد يقع في الأذان رياء، ولا غفلة، عند النطق به، بخلاف الصلاة، فإن

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٨٤- فتح)، ومسلم (٤/ ٩١- نووي).

(٢) فتح الباري (٢/ ٨٦).

النفس تحضر فيها، فيفتح لها الشيطان أبواب الوسوسة، وقد ترجم عليه أبو عوانة «**الدليل على أن المؤذن في أذانه وإقامته**» منفي عن الوسوسة والرياء، لتباعد الشيطان منه» [١].

٢٣ – عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا حضر العشاء، وأقيمت الصلاة، فابدأوا بالعشاء**» [٢].

أ – قال أبو الدرداء ﷺ: «من فقه الرجل إقباله على حاجته، حتى يقبل على صلاته وقلبه فارغ» [٣]، ذكره البخاري في صحيحه (٢/ ١٥٩ - فتح)، قال ابن العربي: «وهذا لا يخلو من أحد وجهين: إما أن الرجل محتاج إلى الطعام حتى يشتغل باله إن تركه، أو يخاف على الطعام الفساد، أو نقصان لذة، فإنه يقدم على الصلاة. فإن أمن هذا كله قدم الصلاة، وهذا إذا كان في الوقت سعة، فأما إذا ضاق الوقت قدمت الصلاة، وبهذا قال الدارقطني» [٤].

ب – تبدو سماحة الإسلام ظاهرة في هذا الحديث، وأنه مبني على التيسير

---

(١) المرجع السابق.

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ١٥٩ - فتح)، ومسلم (٥/ ٤٥ - نووي)، وخرجاه عن ابن عمر أيضاً، ورواه البخاري (٢/ ١٥٩ - فتح) عن عائشة، ورواه مسلم (٥/ ٤٧ - نووي) عن عائشة بلفظ «**لا صلاة بحضرة طعام ولا هو يدافعه الأخبثان**».

(٣) قال القسطلاني – رحمه الله – تعليقاً على مقالة أبي الدرداء – رضي الله عنه – قوله: «حتى يقبل على صلاته وقلبه فارغ» أي: من الشواغل الدنيوية؛ ليقف بين يدي مالكه في مقام العبودية من المناجاة على أكمل الحالات من الخضوع والخشوع الذي هو سبب للفلاح ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾، والفلاح أجمع اسم لسعادة الدارين وفقد الخشوع ينفيه» ا. هـ إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٢/ ١٤٩).

(٤) عارضة الأحوذي بشرح صحيح البخاري (٢/ ٤٠).

والتسهيل، فالصلاة أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين، ومع هذا فقد أذن الشارع بالبدء بالطعام الذي تتوق النفس إليه، كي يقبل العبد على صلاته بقلب حاضر، وقد زالت عنه الشواغل والملهيات.

٢٤- عن أنس ﷺ قال: «كان قرام لعائشة، سترت به جانب بيتها، فقال النبي ﷺ: «**أميطي عنا قرامك** (١) **هذا؛ فإنه لا تزال تصاويره تعرض لي في صلاتي**» (٢).

أ- قال الصنعاني رحمه الله: «في الحديث دلالة على إزالة ما يشوش على المصلي صلاته مما في منزله، أو في محل صلاته، ولا دليل فيه على بطلان الصلاة؛ لأنه لم يرو أنه ﷺ أعادها» (٣).

ب - يفهم من الحديث أن زخرفة المساجد وكثرة النقوش، وكذلك الفرش ذات الألوان اللافتة المشغلة للمصلين مكروهة، فليس ذلك القرام الذي أمر الرسول ﷺ عائشة بإماطته بأشد من غيره.

ج - يحتمل أن التصاوير المذكورة في الحديث ليست من ذوات الأرواح، حيث شدّد الرسول ﷺ في ذوات الأرواح صورة (٤).

٢٥- عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن الالتفات في

---

(١) القرام: «الستر الأحمر، أو ثوب ملون من صوف فيه رقم ونقوش أو ستر رقيق»، القاموس المحيط (٣/ ٦٠٤).

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٤٨٤- فتح).

(٣) سبل السلام (١/ ٢٩١- ٢٩٣).

(٤) أخرجه البخاري (١٠/ ٣٨٩) كتاب اللباس - فتح، ومسلم (١٤/ ٩٠- نووي) عن عائشة .

الصلاة، فقال: «هو اختلاس، يختلسه الشيطان من صلاة العبد»[(١)].

من أحكام الحديث:

أ- التحذير من الالتفات في الصلاة، وأما حكمه فقال الحافظ: «الحديث دل على الكراهة، وهو إجماع، ولكن الجمهور على أنه للتنزيه.. وسبب كراهة الالتفات يحتمل أن يكون لنقص الخشوع، أو لترك استقبال القبلة ببعض البدن»[(٢)].

ب- حرص الشيطان على السرقة من صلاة المصلي، فإن لم يدركها كلها قنع بضياع بعضها.

ج -أن الالتفات على نوعين: التفات بالقلب، وهو التفات بالمعنى ويكون التفاته بالوساوس. والتفات بالوجه، وهو حسي، ويكون بصرف الوجه عن القبلة، واعلم أن الالتفات لغير حاجة ينافي كمال الخشوع. فحري بك أخي - طالب الخشوع - أن تجتنب الالتفات بقسميه؛ لعل الله أن يجعلك من المخبتين الخاشعين.

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٢٣٤- الفتح).

(٢) فتح الباري (٢/ ٢٣٤).

فائدة: قال العيني في عمدة القاري (٥/ ٣١٠) «الاختلاس»: هو الاختطاف بسرعة، والمعنى أن المصلي إذا التفت يميناً أو شمالاً يظفر به الشيطان في ذلك الوقت، ويشغله عن العبادة فربما يسهو أو يغلط لعدم حضور قلبه باشتغاله بغير المقصود، ولما كان هذا الفعل غير مرضي عنه نسب إلى الشيطان، وقال الطيبي: «المعنى من التفت ذهب عنه الخشوع، فاستعير لذهابه اختلاس الشيطان تصويراً لقبح تلك الغفلة، أو أن المصلي مستغرق في مناجاة ربه وأنه تعالى يقبل عليه، والشيطان كالراصد ينتظر فوات تلك الحالة عنه، فإذا التفت المصلي اغتنم الفرصة فيختلسها منه» انتهى.

٢٦ – عن ابن عمر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن العبد إذا قام إلى الصلاة أتي بذنوبه كلها، فوضعت على عاتقيه، فكلما ركع، أو سجد، تساقطت عنه**» (١).

استنباطات من الحديث:

أ – فضل كثرة الركوع والسجود، وهذا من أدلة من يرى أن السجود أفضل من القيام؛ لحديث ربيعة بن كعب الأسلمي ﷺ، لما قال للرّسول ﷺ: «أسألك مرافقتك في الجنة»، قال: «**أو غير ذلك؟**»، قال: «هو ذاك»، قال: «**فأعني على نفسك بكثرة السجود**» (٢)(٣).

---

(١) أخرجه محمد بن نصر في «الصلاة» (٢/ ٦٤)، وفي قيام الليل (ص٥٢)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٩٩- ١٠٠)، والبيهقي في السنن (٣/ ١٠)، قال الألباني: «إسناده صحيح ورجاله كلهم ثقات» السلسلة الصحيحة (٣/ ٣٨٧).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٦- نووي).

(٣) قال النووي في شرح مسلم (٤/ ٢٠٠): «وفي هذه المسألة ثلاثة مذاهب، أحدها: أن تطويل السجود، وتكثير الركوع، والسجود، أفضل، والمذهب الثاني: أن تطويل القيام أفضل؛ لحديث جابر في صحيح مسلم، أن النبي ﷺ قال: «**أفضل الصلاة طول القنوت**»، والمراد بالقنوت القيام، ولأن ذكر القيام القراءة، وذكر السجود التسبيح، والقراءة أفضل؛ لأن المنقول عن النبي ﷺ أنه كان يطول القيام أكثر من تطويل السجود، والمذهب الثالث: أنها سواء، وتوقف أحمد بن حنبل رحمه الله في المسألة، ولم يقض فيها بشيء»، وقال ابن القيم رحمه الله: «قال شيخنا – يعني شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله– أنهما سواء، والقيام أفضل بذكره وهو القراءة، والسجود أفضل بهيئته، فهيئة السجود أفضل من هيئة القيام، وذكر القيام أفضل من ذكر السجود، وهكذا كان هدي الرسول ﷺ، فإنه كان إذا أطال القيام أطال الركوع والسجود، كما فعل في صلاة الكسوف، وفي صلاة الليل، وكان إذا خفف القيام خفف الركوع والسجود، وكذلك كان يفعل في الفرض، كما قاله البراء بن عازب : «كان قيامه وركوعه وسجوده واعتداله قريباً من السواء، والله أعلم» زاد المعاد (١/ ٢٣٥- ٢٣٧).

ب – يتبادر من قول النبي ﷺ: «**أتي بذنوبه كلها ..**» [١] إلى أن كبائر الذنوب، كالزنا، والربا، ونحو ذلك، داخلة ضمن التكفير، والجواب أن جميع الذنوب ـ حاشا الشرك ـ داخلة تحت مشيئة الله، إن شاء عذب عليها، وإن شاء غفرها، إلا أن المقصود بالذنوب في الحديث صغائرها، وذلك جمعاً بين الأدلة، والشاهد من الحديث: «**فكلما ركع، أو سجد، تساقطت عنه**»، وذلك أن من استحضر في قلبه ذلك الفضل دعاه ذلك للخشوع في الصلاة، وحداه إلى حسن الأداء.

* وما هذه الأحاديث إلا نبذة يسيرة، ومختصرة، من أحاديث كثيرة، جاءت في هذا الباب الهام.

* إن هذه الأحاديث التي قد طالعت طرفاً منها، ما جاءت إلا لتقرر هذا الأمر المهم، وإلا لتحدونا وتستحثنا أن نسلك هذا المضمار في صلواتنا، وأن نؤديها حية، تؤثر في سلوكنا، وحياتنا، ومعاملاتنا.

* أما أن نؤديها وهي خالية من كل معنى من معاني الخشوع، فأي رجاء نرجو من ورائها أن تنهانا عن الفحشاء والمنكر!!، وأيُّ صلاة هي تلك الصلاة التي نؤديها بالأعضاء فقط!!، وأيُّ مزية لتلك الصلاة التي يباشرها صاحبها بجوارحها دون قلبه!!

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٨٧ - نووي) طبعة دار الكتب .

أخبار وآثار عن الخشوع عند السلف الصالح رضي الله عنهم

* يعجب المطالع لأخبار السلف الصالحين - الصحابة ومن بعدهم رضي الله عنهم -، الذين كانوا بالليل قياماً، وبالنهار أسوداً كيف كانوا يحرصون على ما يزكي نفوسهم من الإيمان، والخشوع، والخشية، والخوف، وكيف بلغت قلوبهم من الرقة، والتأثر العجيب ما بلغت؟ وكيف كانوا يصلون تلك الصلاة الحية المؤثرة التي ينطبع صداها على جميع شؤونهم في الحياة؟

لا تعرضن لذكرنا في ذكرهم ليس الصحيحُ إذا مشى كالْمُقعَد

* كانوا ينتعشون للصلاة، ويلتذون بها، فتستجيش مشاعر الإيمان الفياضة في قلوبهم.

* وكانوا يرون أن للصلاة نوراً يشع، ويضيء لهم الطريق.

* كان أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: «**الصلاة نور المؤمن**»[1].

* وكانوا يدركون أن الصلاة هي بدء الانطلاقة لكل خير، وأنها هي الأساس لكل من يريد الفلاح ويرتميه، وأنها هي المفتاح الحقيقي لـ ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

* كان جابر بن عبدالله رضي الله عنه يقول: «**الصلاة مفتاح الجنة**»[2].

* فجاءت صلاتهم هي المثال المحتذى للصلاة الخاشعة، وكانت صلاتهم

---

(١) كتاب تعظيم قدر الصلاة لابن نصر المروزي.

(٢) المرجع السابق.

هي المرادة في قول الله: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وكانوا يتأثروا بالغ التأثر بالصلاة والقرآن.

* وأما ما يذكر عن الصحابة، أو عن بعضهم، من السقوط والغشي حين قراءة القرآن في أثناء الصلاة، أو خارجها، فلا يصح ذلك عنهم، ولا عن واحد منهم، بل «**إن الصحابة ﷺ كانوا أكمل وأقوى وأثبت في الأحوال الإيمانية من أن تغيب عقولهم، أو يحصل لهم غشي أو صعق، وإنما كان مبادئ هذه الأمور في التابعين من عباد البصرة، فإنه كان فيهم من يغشى عليه إذا سمع القرآن، ومنهم من يموت**»[1].

رضي الله عن الصحابة أجمعين، وعن تابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، ووفقنا لأن نرتسم منهجهم، ونقتدي بهم في عملهم.

يا حسنهم والليل قد جنَّهم ... ونورهم يفوق نور الأنجمِ
ترنحوا بالذكر في ليلهم ... فعيشهم قد طاب بالترنمِ
قلوبهم للذكر قد تفرغتْ ... دموعهم كلؤلؤ منظَّمِ

وإلى نبذة من صفاتهم وإشراقاتهم فيما كانوا عليه في صلواتهم، علَّ الله أن يوقظ ضمائرنا، ويحيي قلوبنا، ويعمر بالصالحات أعمارنا:

(١) خشوع الصديق ﷺ:

- حديث عائشة ﷺ - وقد سبق -، وفيه أن رسول الله ﷺ قال في مرضه: «**مروا أبا بكر يصلي بالناس**»، فقالت عائشة: قلت: إن أبا بكر إذا قام

(١) راجع مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - (١٠/ ٢٢٠).

في مقامك لم يسمع الناس من البكاء»[١].

- وفي رواية قالت عائشة: «إنه رجل رقيق، إذا قرأ غلبه البكاء»، وفي رواية فقيل له - أي للنبي ﷺ -: «إن أبا بكر رجل أسيف، إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس».

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: قولها «رقيق» أي: رقيق القلب، وقوله «أسيف»: من الأسف، وهو شدة الحزن، والمراد أنه رقيق القلب[٢].

(٢) خشوع الفاروق رضي الله عنه:

- حديث عبدالله بن شداد - وقد سبق - قال: سمعت نشيج عمر، وأنا في آخر الصفوف، وهو يقرأ قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[٣]، وبكى حتى سالت دموعه على ترقوته[٤].

- وعن الحسن رحمه الله: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يمر بالآية من ورده بالليل فيبكي[٥].

- وعن أبي معمر: أن عمر قرأ سورة مريم، فسجد، ثم قال: هذا

---

(١) رواه البخاري (٢/ ٢٠٦- فتح)، ومسلم (٤/ ١٢٧- نووي).

(٢) فتح الباري (٢/ ١٥١، ١٥٣، ١٦٥).

(٣) علقه البخاري (٢/ ١٧٢)، ووصله سعيد بن منصور بن عيينة، عن إسماعيل بن محمد بن سعد سمع عبدالله بن شداد بهذا، وزاد «في صلاة الصبح»، وأخرجه ابن المنذر من طريق عبيد الله بن عمير، عن عمر نحوه، وعبدالله بن شداد تابعي كبير له رؤيه ولأبيه صحبة: راجع شرح السنة، تحقيق: زهير الشاويش وشعيب الأرناؤوط (٣/ ٢٤٥).

(٤) شعب الإيمان (٢/ ٣٦٤).

(٥) مختصر قيام الليل لابن نصر المروزي (ص١٤٢).

السجود، فأين البكاء؟! [١]، قوله تعالى: ﴿خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨].

(٣) خشوع عبدالله بن عمر رضي الله عنهما:

* كان ابن عمر رضي الله عنهما يصلي بالليل، فيمر بالآية فيها ذكر الجنة، فيقف، فيسأل الله الجنة، ويدعو، وربما بكى، ويمر بالآية فيها ذكر النار، فيقف، ويتعوذ بالله من النار، ويدعو، وربما بكى، وكان إذا أتى على هـذه الآية: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦]، بكى وقال: «**بلى يا رب، وبكى، حتى يغلبه البكاء**» [٢].

* وعن محارب بن وثار رحمه الله: قال: دخلت على ابن عمر رضي الله عنهما ببيته، وهو يصلي، فإذا هو يبكي في صلاته [٣].

(٤) خشوع تميم الداري رضي الله عنه [٤]:

- عن صفوان بن سليم، قال: قام تميم الداري في المسجد بعد أن صلى العشاء، فمر بهذه الآية: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٤]، جعل يرددها، ويبكي، حتى أصبح [٥].

---

(١) شعب الإيمان (٢/ ٣٦٤).

(٢) صفوة الصفوة لابن الجوزي، مختصر قيام الليل للمروزي (١٤٣).

(٣) مختصر قيام الليل (١٤٣).

(٤) وتميم الداري - رضي الله عنه - هو الذي حدث النبي ﷺ بقصة الجساسة، فرواها عنه النبي ﷺ وأخبر بها الصحابة، كما روى الحديث كاملاً مسلم راجع «مسلم بشرح النووي» (١٨/ ٨١)، وهذا معدود في مناقب؛ تميم لأن النبي ﷺ روى هذه القصة، وفيه رواية الفاضل عن المفضول، ورواية المتبوع عن تابعه، وفيه قبول خبر الواحد.

(٥) مختصر قيام الليل (ص٦٥).

- وأتى تميم الداري المقام، فاستفتح الجاثية، فلما بلغ: ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [الجاثية: ٢١].

(٥) خشوع سعد بن معاذ ﷺ [١]:

- قال سعد ﷺ: «فيّ ثلاث خصال، لو كنت في سائر أحوالي أكون فيهن: كنت أنا أنا: إذا كنت في الصلاة لا أحدث نفسي بغير ما أنا فيه، وإذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً لا يقع في قلبي ريب أنه الحق، وإذا كنت في جنازة لم أحدث نفسي بغير ما تقول ويقال لها» [٢].

(٦) خشوع أبي طلحة الأنصاري ﷺ:

- عن عبدالله بن أبي بكر أن أبا طلحة الأنصاري ﷺ كان يصلي، في حائطه، فطار دبسي [٣]، فطفق يتردد يلتمس مخرجاً، فأعجبه ذلك، فجعل أبو طلحة يتبعه بصره ساعة، ثم رجع إلى صلاته، فإذا هو لا يدري كم صلى؟ فقال: «لقد أصابتني في مالي هذا فتنة، فجاء إلى رسول الله ﷺ، فذكر له الذي أصابه في حائطه من الفتنة، وقال يا رسول الله: هو صدقة لله، فضعه حيث شئت» [٤].

---

(١) سعد بن معاذ ﷺ هو الذي قال الرسول ﷺ في جنازته وهي بين أيديهم: «اهتز لها عرش الرحمن»، والحديث هذا متفق عليه، وفي سند هذا الحديث لطيفة نادرة، وهي أن سند هذا الحديث من عوالي مسلم على البخاري، أي: أن سند مسلم أعلى من سند البخاري، ذكره ابن حجر في كتابه «عوالي مسلم على البخاري»، برقم (١٨).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٢/ ٦٠٥).

(٣) الدبسي: هو طائر يشبه اليمامة وقيل هو اليمامة وسمي الدبسي نسبة إلى دبس النخل.

(٤) أخرجه مالك في الموطأ.

(٧) خشوع عبدالله بن الزبير ﷺ:

* كان ﷺ يعظم الوقوف في الصلاة، ويحضر قلبه بخشوع، ولا يتحرك من جسده شيء ألبتة في غير أفعال الصلاة، حتى لقد قال عنه مجاهد ﷺ: «كان ابن الزبير إذا قام بالصلاة كأنه عود» [(١)]، وهذا من معرفته ﷺ لقدر الصلاة، وتعظيمه لمن هو واقف بين يديه، وكان ﷺ يسجد، فأتى المنجنيق فأخذ طائفة من ثوبه وهو في الصلاة لا يرفع.

(٨) خشوع عمر بن عبدالعزيز ﷺ:

- قرأ عمر بن عبدالعزيز ﷺ ليلة في صلاته سورة الليل فلما بلغ قوله تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ [الليل: ١٤]، بكى، فلم يستطع أن يتجاوزها مرتين، أو ثلاثاً، ثم قرأ سورة أخرى[(٢)].

- وعن مقاتل بن حبان، قال: صليت خلف عمر بن عبدالعزيز فقال: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤]، فجعل يكررها، لا يستطيع أن يجاوزها، يعني: من البكاء [(٣)].

(٩) خشوع ثابت البناني ﷺ:

- قال حماد بن سلمة: قرأ ثابت البناني قوله تعالى: ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾ [الكهف: ٣٧]، وهو يصلي صلاة الليل، ويرددها، وكان ثابت ﷺ قد اشتكى عينه، فقال له الطبيب: اضمن لي خصلة تبرأ

---

(١) أخرجه البيهقي بإسناد صحيح.

(٢) مناقب عمر بن عبدالعزيز، لابن الجوزي.

(٣) المرجع السابق.

عينك، لا تبكي، قال ثابت: وما خير في عين لا تبكي [١].

(١٠) خشوع سعيد بن جبير رحمه الله:

- كان سعيد بن جبير رحمه الله يكثر من ترديد آيات القرآن في قيامه، قال يحيى بن عبدالرحمن: سمعت سعيد بن جبير يردد هذه الآية: ﴿ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [يس: ٥٩]، حتى يصبح [٢].

- وقام ليلة يصلي، فقرأ: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٨١]، فرددها بضعاً وعشرين مرة، وردد أيضاً وهو يؤمهم في رمضان: ﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٧٠ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴾ [غافر: ٧٠، ٧١]، رددها مراراً، وردد أيضاً: ﴿ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴾ [الإنفطار: ٦] [٣].

(١١) خشوع الحسن بن صالح رحمه الله:

* قال أبو سليمان الداراني: ما رأيت أحداً الخوف أظهر على وجهه والخشوع من الحسن بن صالح، قام ليلة فقرأ: ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [النبأ: ١]، فلم يختمها حتى طلع الفجر [٤].

(١٢) خشوع محمد بن المنكدر رحمه الله:

- عن يحيى بن الفضل، قال: سمعت بعض من يذاكر عن محمد بن المنكدر، أنه بينما هو ذات ليلة قائم يصلي، إذا استبكى، فكثر بكاؤه، حتى فزع أهله، فسألوه ما الذي أبكاك؟ فاستعجم عليهم، فتمادى في البكاء، فأرسلوا إلى

---

(١) صفة الصفوة لابن الجوزي.
(٢) مختصر قيام الليل.
(٣) مختصر قيام الليل للمروزي، صفة الصفوة لابن الجوزي.
(٤) حلية الأولياء لأبي نعيم، مختصر قيام الليل للمروزي.

أبي حازم، وأخبروه بأمره، فجاء أبو حازم، فإذا هو يبكي، فقال: يا أخي! ما الذي أبكاك؟ قد روعت أهلك، فقال: إني مرت بي آية من كتاب الله ﷻ، قال: وما هي؟، قال: قول الله ﷻ: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧]، قال: فبكى أبو حازم معه، واشتد بكاؤهما، قال: فقال بعض أهله لأبي حازم: جئنا بك لتفرج عنه، فزدته [١].

(١٣) خشوع الربيع بن خثيم رحمه الله:

- عن نسير قال: بت عند الربيع بن خثيم ذات ليلة، فقام يصلي، فمر بهذه الآية: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١]، فمكث ليلة، حتى أصبح ما يجاوز هذه الآية إلى غيرها ببكاء شديد [٢].

(١٤) خشوع مسلمة بن بشار رحمه الله:

- كان رحمه الله إذا قام في الصلاة خشع، وسكنت جوارحه، ونسي كل ما حوله، حتى «لقد كان يصلي في المسجد، فانهدم طائفة منه، وقام الناس، وهو في الصلاة لم يشعر» [٣].

(١٥) خشوع محمد بن كعب القرظي رحمه الله:

- كان يقول: لأن أقرأ في ليلة حتى أصبح ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١]، والقارعة، لا أزيد عليها، ولا أتردد فيها، وأتفكر، أحب إلى من هذّ القرآن هذًّا، أو نثره نثراً [٤].

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي، صفة الصفوة لابن الجوزي.

(٢) صفة الصفوة لابن الجوزي.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - (٢٢/ ٦٠٥).

(٤) حلية الأولياء لأبي نعيم، صفة الصفوة لابن الجوزي.

(١٦) خشوع هارون بن رياب الأسدي رحمه الله:

- كان يقوم من الليل للتهجد، فربما ردد هذه الآية حتى يصبح: ﴿فَقَالُوا يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: ٢٧]، ويبكي حتى يصبح [١].

(١٧) خشوع الفضيل بن عياض رحمه الله:

- وعن محمد بن ناجية، قال: صليت خلف الفضيل، فقرأ ﴿ٱلْحَآقَّةُ﴾ في الصبح، فلما بلغ قوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ [الحاقة: ٣٠]، غلبه البكاء [٢].

- وكانت قراءته رحمه الله حزينة شهية بطيئة مترسلة، كأنه يخاطب إنساناً، وكان إذا مر بآية فيها ذكر الجنة يرددها [٣].

(١٨) خشوع سليمان التيمي رحمه الله:

- عن معمر، قال: «صلى إلى جنبي سليمان التيمي بعد العشاء الآخرة، وسمعته يقرأ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك: ١]، قال فلما أتى على هـذه الآية: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الملك: ٢٧]، فجعل يرددها حتى خف أهل المسجد، فانصرفوا، قال: فخرجت، وتركته، قال: وغدوت لأذان الفجر، فنظرت، فإذا هو في مقامه، قال: فسمعته، فإذا هو فيها، لم يجزها، وهو يقول: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾» [٤].

(١٩) خشوع عامر بن عبد القيس رحمه الله:

- قيل له: أتحدث نفسك بشيء في الصلاة؟ فقال: أوشيء أحب إلي من

---

(١) مختصر قيام الليل للمروزي.
(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي.
(٣) صفة الصفوة لابن الجوزي.
(٤) حلية الأولياء لأبي نعيم، وصفة الصفوة لابن الجوزي.

الصلاة أحدث به نفسي؟! قالوا: إنا لنحدث أنفسنا في الصلاة، فقال: أبالجنة والحور، ونحو ذلك؟، فقالوا: لا، ولكن بأهلينا وأموالنا، فقال: لأن تختلف الأسنة فيّ أحب إلي [١].

(٢٠) خشوع إبراهيم التيمي رحمه الله:

- وكان إبراهيم التيمي رحمه الله إذا سجد تجيء العصافير تستقر على ظهره، كأنه جزم حائط [٢].

(٢١) خشوع عطاء رحمه الله:

- وكان عطاء بن أبي رباح رحمه الله بعد ما كبر وضعف، يقوم إلى الصلاة، فيقرأ مائتي آية من سورة البقرة، وهو قائم لا يزول منه شيء، ولا يتحرك [٣].

(٢٢) خشوع يحيى بن وثاب رحمه الله:

- وكان يحيى بن وثاب رحمه الله إذا صلى مكث ما شاء الله، تعرف عليه كآبة الصلاة [٤].

❁ * ❁ * ❁

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - (٢٢/ ٦٠٥).
(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم.
(٣) المصدر السابق.
(٤) إحياء علوم الدين للغزالي.

حكم الخشوع في الصلاة

اختلف العلماء في حكم الخشوع في الصلاة على أقوال:

القول الأول: الوجوب:

قال القرطبي – رحمه الله تعالى –: «**اختلف الناس في الخشوع، هل هو من فرائض الصلاة، أو من فضائلها، ومكملاتها؟ على قولين، والصحيح الأول**»[(١)].

قال شيخ الإسلام – رحمه الله تعالى –: «... فقد قال الله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]، وهذا يقتضي ذم غير الخاشعين، كقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وكقوله تعالى: ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾[الشورى: ١٣].

فقد دلَّ كتاب الله ﷻ على من كبر عليه ما يحبه الله، وأنه مذموم بذلك في الدين، مسخوط منه ذلك، والذم أو السخط لا يكون إلا لترك واجب، أو فعل محرم، وإذا كان غير الخاشعين مذمومين دل على وجوب الخشوع.

فمن المعلوم أن الخشوع المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ ، لا بد أن يتضمن الخشوع في الصلاة، فإنه لو كان الخشوع خارج الصلاة، لفسد المعنى، إذ لو قيل: إن الصلاة لكبيرةٌ إلا على من خشع خارجها،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٢/ ١٠٤).

ولم يخشع فيها، كان يقتضي أنها لا تكبر على من لم يخشع فيها، وتكبر على من خشع فيها، وقد انتفى مدلول الآية، فثبت أن الخشوع واجب في الصلاة.

ويدل على وجوب الخشوع فيها أيضاً قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝٧ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝٨ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١-١١].

أخبر ﷻ أن هؤلاء هم الذين يرثون الجنة، وذلك يقتضي أن لا يرثها غيرهم، وقد دل هذا على وجوب هذه الخصال، إذ لو كان فيها ما هو مستحب، لكانت جنة الفردوس تورث بدونها، لأن الجنة تنال بفعل الواجبات، دون المستحبات.

ولهذا لم يذكر في هذه الخصال إلا ما هو واجب، وإذا كان الخشوع في الصلاة واجباً، فالخشوع يتضمن السكينة والتواضع.

ويدل على وجوب الخشوع في الصلاة أن النبي ﷺ توعّد تاركيه، كالذي يرفع بصره إلى السماء، فإنه حركه ورفعه، وهو ضد حال الخاشع، فعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم؟**»، فاشتد قوله في ذلك، قال: «**لينتهن عن ذلك، أو لتخطفن أبصارهم**»[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٢٣٣- فتح).

وعن جابر بن سمرة ﷺ قال: دخل رسول الله ﷺ المسجد، وفيه ناس يصلون رافعين أبصارهم إلى السماء، فقال: «**لينتهينَّ رجال يشخصون أبصارهم إلى السماء، أو لا ترجع إليهم أبصارهم**»[١] [٢].

القول الثاني: عدم الوجوب :

قال النووي ﷺ: أجمع العلماء على استحباب الخشوع والخضوع في الصلاة [٣]، وقد رد عليه الإمام الحافظ العراقي في كتابه «طرح التثريب في شرح التقريب»[٤]، فراجعه إن شئت زيادة فائدة، والذي يظهر - والله تعالى أعلم -: أن الماهية (أي: المقصود بالخشوع ومفهومه) مختلف فيها بين أصحاب القول الأول وأصحاب القول الثاني، فالذي يريده هؤلاء غير الذي يريده أولئك، والقول بأن الخشوع في الصلاة ليس بواجب إجماعاً فيه نظر، بل ينبغي التفصيل في هذه المسألة، فيقال: إن كان المقصود بالخشوع قدر من الحضور في الصلاة، وإدراك الإنسان لما يقول، وما يفعل، أو بعضه، فإن هذا في الأصل مطلوب.

وإن كان المقصود بالخشوع الذي هو: كمال انكسار القلب، وذلّه، وتضرعه لله ﷻ، فإنه لا أحد يقول بأن هذا واجب في الصلاة، بل هو من الأشياء المكملة المطلوبة في الصلاة دون إيجاب.

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٥٢ - نووي).

(٢) الفتاوى (٢٢/ ٥٥٣ - ٥٨٨).

(٣) المجموع شرح المهذب (٣/ ٢٧٢).

(٤) طرح التثريب (٢/ ٣٧٢).

درجات الخشوع:

الدرجة الأولى «وجل القلب»:

وهي الارتعاشة التي تنتاب القلب الموصول بالله، فتغشاه جلالته، وتنتفض فيه مخافته، وتتمثل عظمة الله، ومهابته، إلى جانب تقصيره وذنبه، وقد صوَّر العليم هذه الحالة الوجدانية التي تعتري القلب: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢].

ونظيرها قولـه – تعالى-: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ۝٣٤ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: ٣٤، ٣٥].

الدرجة الثانية «قشعريرة الجلد»:

ثم تسري هذه الشحنة الإيمانية في الجسد المؤمن، فيقشعر جلده، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [الزمر: ٢٣].

الدرجة الثالثة «البكاء»:

ثم تفيض أعينهم بالدمع، تعبيراً عن التأثر العميق، وهذا البكاء يؤدي ما لا يؤديه القول، قال مولانا الحق: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣].

وقال ﷻ: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٩].

الدرجة الرابعة «لين القلب والجلد معاً»:

إن هذا الدمع الغزير ليس تفريغاً لهذه الشحنة الإيمانية، وإنما هو ماء يسكب فوقها، فيتذوق الخاشع برد اليقين، ويحس بثلج الإيمان.

قال المولى الحق – جل شأنه -: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣].

الدرجة الخامسة «السكينة»:

وهي الوقار والسكون الذي ينزله الله في قلب عبده عند اضطرابه من شدة المخاوف، فلا ينزعج بعد ذلك لما يرد عليه، ويوجب له زيادة الإيمان، وقوة اليقين والثبات.

ولهذا أخبر الله – سبحانه – عن إنزالها على رسوله ﷺ، في مواضع القلق والاضطراب.

كيوم الهجرة، إذ هو وصاحبه في الغار، والعدو فوق رؤوسهم، حتى إن أحدهم لو نظر تحت قدميه لرآهما.

﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة: ٤٠].

وكيوم الحديبية، حين اضطربت قلوبهم من تحكم الكفار عليهم، ودخولهم تحت شروطهم التي لا تحملها النفوس، وحسبك بضعف عمر ﷺ عن حملها، وهو عمر، حتى ثبته الله بالصديق ﷺ: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ

﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].

وكيوم حنين، حين ولوا مدبرين من شدة بأس الكفار، لا يلوي أحد منهم على أحد: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥، ٢٦].

والسكينة إذا نزلت على القلب سكن بها، وخشعت إليها الجوارح، واكتسبت الوقار، وأنطقت اللسان بالصواب والحكمة، وحالت بينه وبين الفحش والتفحش، واللغو والهجر، وكل باطل.

ولذلك، فهي تجمع قوة وروحاً، يسكن إليه الخاشع، ويتسلى بها الحزين والضجر، فإذا باشرت قلبه، سكّنت خوفه، وسلّت حزنه، فإنها لا حزن معها، فهي سلوة المحزون، ومذهبة الهموم والغموم، وكذلك أذهبت وضم ضجره، وبعثت نشوة العزم.

وهو أول مقام يتخلص فيه العبد من التردد، الذي هو ضرب من الغفلة والإعراض، ولذلك فهو أول منازل الطمأنينة، فإذا استقر المقام به، ارتفعت همته، وعلت نفسه، فباشر حلاوة الإيمان، وبرد اليقين قلبه، وانقشعت حجب نفسه:

«فالنفس جبل عظيم شاق في طريق السير إلى الله، وكل سائر لا طريق له إلا على ذلك الجبل، فلا بد أن ينتهي إليه، ومنهم من هو شاق عليه، ومنهم من

هو سهل عليه، وإنه ليسير على من يسّره الله عليه.

وفي ذلك الجبل: أودية، وشعب، وعقبات، ووهود، وشوك، وعوسج، وعليق، وشرق، ولصوص يقطعون الطريق على السائرين، ولا سيما أهل الليل المدلجين، فإذا لم يكن معهم عدد الإيمان، ومصابيح اليقين تتقد بزيت الإخبات، وإلا تعلّقت بهم الموانع، وتشبثت بهم تلك القواطع، وحالت بينهم وبين السير، فإنّ أكثر السائرين فيه رجعوا على أعقابهم لما عجزوا عن قطعه، واقتحام عقباته.

والشيطان على قُلّة ذلك الجبل، يحذر الناس من صعوده، وارتفاعه، ويخوفهم منه، فيتفق مشقة الصعود وقعود ذلك المخُوِّف على قُلته وضعف عزيمة السائر ونيته، فيتولد من ذلك الانقطاع والرجوع، والمعصوم من عصمه الله.

وكلما رقى السائر في ذلك، اشتد به صياح القاطع، وتحذيره وتخويفه، فإذا قطعه وبلغ قلته، انقلبت تلك المخاوف كلهن أماناً، وحينئذ يسهل السير، وتزول عنه عوارض الطريق، ومشقة عقباتها، ويرى طريقاً واسعاً آمناً يفضي به إلى المنازل والمناهل، وعليه الأعلام، وفيه الإقامات، قد أعدت لركب الرحمن.

فبين العبد وبين السعادة والفلاح: «قوة عزيمة، وصبر ساعة، وشجاعة نفس، وثبات قلب، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم»[1].

الدرجة السابعة «الطمأنينة»:

وهي نهاية الإخبات، ولذلك فيه سكون القلب والنفس، مع قوة الأمن

(١) مدارج السالكين، للعلامة ابن القيم.

الصحيح، الذي لا يكون أمن غرور؛ لأن الغرور قد ينزل القلب والنفس، لكن هيهات أن تطمئن به النفس، أو يطمئن به القلب، لأنه سرعان ما يتركه، ولكن الطمأنينة لا تفارق صاحبها، لأنه في مقام الرجوع إلى الله، حيث لا يبقى معه شيء من مخاوف الظنون والأوهام، وكأنه ينظر إليه نظر العين، فيأمن به اضطراب قلبه وقلق نفسه.

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨]، وقال - جل شأنه -: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾ [الفجر: ٢٧- ٣٠]، وفي هذا دليل على أن الطمأنينة طريق الرجوع إلى الله، فإن النفس لا ترجع إلى ربها، إلا إذا كانت مطمئنة، فهناك ترجع إليه، وتدخل في عباده الآمنين، الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وتستقر في دار رحمته.

وهكذا يتبين لك ـ أيها العبد الخاشع الراجع إلى ربه ـ أن الخشوع سبع درجات طباقاً، من ارتقى فيها بسلّم الإخلاص، وتوكأ على عصا الاتباع، ورد معين الفلاح [١].

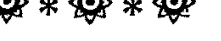

(١) الخشوع وأثره في بناء الأمة، الشيخ سليم الهلالي.

صفات الخاشعين كما يصورهم القرآن

الصفة الأولى: أنهم يخافون الله ﷻ:

* لأنهم يمتلكون بين جوانحهم قلوباً مليئة خوفاً ووجلاً، فهم بمجرد ذكر اسم الله – تعالى – يتحرك الوجل في قلوبهم، فتقشعر جلودهم، وذلك لقوة إيمانهم، ومراعاتهم لربهم، وكأنهم بين يديه، فعلامة خوفهم إذًا أمران، هما:

- **الأول:** وجل في القلب.

- **الثاني:** قشعريرة في الجلد.

قال – عز شأنه –: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: ٣٤، ٣٥]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [الزمر: ٢٣].

الصفة الثانية: أنهم يبكون من خشية الله:

وقد حكى القرآن عنهم ذلك المشهد الحزين، وهم يبكون تأثراً بوقع تلك اللمسات المؤثرة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧- ١٠٩].

قال العلامة القرطبي رحمه الله: «وهذه أحوال العلماء: يبكون، ولا يصعقون، ويسألون، ولا يصيحون، ويتحازنون، ولا يتموَّتون»[1].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٦/ ٢٥٨).

إنها آيات تحكي لنا مواقف الذين من قبلنا من العلماء، الذي صدقوا مع الله حين سماعهم ما أنزل الله، ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾[الأنعام: ٩٠].

الصفة الثالثة: الصبر على ما أصابهم:

* لأنهم قد أيقنوا أن هذه الحياة مليئة بالعوائق والمكابد، وأن الأرض التي يمشون عليها مفروشة بالأشواك، وأنه لابد من الابتلاءات بالمخاوف والمرهوبات، ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [الأنفال: ٣٧]، ولهذا فهم وجدوا أن الصبر خير دواء لما يلاقونه في هذه الحياة من المتاعب والآلام، ولما يواجههم من المصاعب والهموم.

ولا تجـــزع لحادثـــة الليـــالي ... فـــما لحـــوادث الـــدنيا بقـــاء
وكن رجـلاً عـلى الأهـوال جلـداً ... وشـــيمتك الســـماحة والوفـــاء

فكانوا كثيراً ما يتواصلون بـ: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨]، وكانوا كثيراً ما يرددون: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]، وكثيراً ما يعلنونها صريحة في وجوه خصومهم: ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١٢]، وكأن الواحد منهم قد خط على جبينه:

يا صاحب الهـمِّ، إنَّ الهـمَّ مُنفـرجٌ ... أبشْر بخير، فـــإن الكاشـفَ اللهُ

* نعم، هذه صفة الخاشعين المخبتين، وهذا وصفهم: ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ﴾ [الحج: ٣٤، ٣٥]، فلا بد من الصبر على جهاد النفس، وجهاد الأعداء، ولا بد من الصبر على الأذى والمشقة، ولا بد من الصبر على تبجح الباطل وانتفاشه، فالباطل ساعة، الحق إلى قيام الساعة.

* إن صفة «الصبر» من أبرز سمات وصفات الخاشعين، ونحن اليوم بمسيس الحاجة إليها، وأن يكون قدوتنا في الصبر يوسف عليه السلام، فلقد تآمر عليه إخوته، وألقوه في البئر .. فصبر، وقد بيع بَيع العبيد .. فصبر، وهو الحر، وعمل خادماً .. فصبر، وهو الشريف، واتهم في عرضه .. فصبر، وهو العفيف، وسجن .. فصبر، وهو البريء، فأبلغه الله المنازل العالية، وبوأه الأماكن الرفيعة، وهكذا ينبغي أن يكون الصابرون، وأن يصبروا ابتغاء وجه ربهم، لا تحرجاً من أن يقول الناس: جزعوا، ولا تجملاً ليقول الناس: صبروا ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ [الرعد: ٢٢]، حبانا الله ما حباهم.

الصفة الرابعة: اليقين بلقاء الله، وأنهم إليه راجعون:

إن اليقين بلقاء الله والرجعة إليه وحده في كل الأمور، وهو مناط التقوى والخشوع؛ لأنه مناط الوزن القيمِّ للقيم: قيم الدنيا وقيم الآخرة، ومتى استقام الميزان في هذه القيم؛ بدت الدنيا كلها ثمناً قليلاً، وعرضاً هزيلاً، وبدت الآخرة على حقيقتها أحسن مقيلاً، وأهدى سبيلاً، لا يتردد عاقل في اختيارها وإيثارها؛ لأنه سيجد مقعد صدق عند مليك مقتدر.

قال الله – جل ثناؤه –: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ٤٥، ٤٦].

* لقد تيقن الخاشعون الرجعة إلى مولاهم الكريم، في ذلك اليوم العظيم، فأصبح له في قلب المؤمن وقع، وله في فؤاده أثر، وله في ضميره هول؛ لأن الوقوف بين يدي الله في هذا اليوم خاطر يزلزل الكيان!!

* فلذا حداه ذلك الخوف، وذلك اليقين إلى الخشية والخشوع، فكان من زمرة ﴿ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴾ [الأنبياء: ٤٩]، وخشية الله تعالى وتقواه هي الحارس الذي يكفل الاستقامة على النهج الحق، ويعين على إغفال مغريات الدنيا الفاتنة.

* فهذه صفاتهم إن أردت اللحاق بهم، ولا إخالك إلا كذلك، فاركض برجلك، ولا تتوانَ؛ فالقوم قد رحلوا، وغداً أنت مسؤول.

❁ * ❁ * ❁

ارتفاع الأصوات بالبكاء

ما حكمه ؟ وهل هو من الخشوع ؟

* يتساهل بعض الناس في ارتفاع الأصوات حين البكاء في الصلاة، ولربما أحياناً تصل الحال بأحدهم إلى الغشي أو الصياح .. ونحوهما، وقد أنكر بعض العلماء ما يحدث من ذلك، وذكر القرطبي في تفسيره عند قوله: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾، أن ابن عمر مر برجل من أهل القرآن ساقطاً فقال: «**ما بال هذا؟**» قالوا: «**إنه قرئ عليه القرآن، وسمع ذكر الله فسقط**»، فقال ابن عمر: «**إنا لنخشى الله وما نسقط**»، ثم قال: «**إن الشيطان يدخل في جوف أحدهم، ما كان هذا صنيع أصحاب رسول الله ﷺ**» (١).

* وللعلماء تفصيل في مسألة «**ارتفاع الأصوات بالبكاء**»، وما حكمها؟ وما هي الحال الأفضل حين البكاء؟ والعمل الأكمل آنذاك؟:

١ – قال شيخ الإسلام – ابن تيمية – رحمه الله تعالى -: «وما يحصل عند السماع، والذكر المشروع، من وجل القلب، ودمع العين، واقشعرار الجسوم، فهذا أفضل الأحوال التي نطق بها الكتاب والسنة، أما الاضطراب الشديد، والغشي والموت والصيحات، فهذا إن كان صاحبه مغلوباً عليه لم يُلم عليه، كما قد يكون في التابعين، ومن بعدهم، فإن منشأه قوة الوارد على القلب، مع ضعف القلب والقوة، والتمكن أفضل، كما هو حال النبي ﷺ» (٢)، وقال أيضاً رحمه الله: «والذي عليه جمهور العلماء: أن الواحد من هؤلاء إذا كان مغلوباً

---

(١) أحكام القرآن، للقرطبي .

(٢) الفتاوى (٢٢/ ٥٢٢).

عليه، لم ينكر عليه، وإن كان حال الثابت (أي: الذي يملك نفسه) أكمل، ولهذا لما سئل الإمام أحمد عن هذا قال: «قُرأ القرآن على يحيى بن سعيد القطان، فغشي عليه، ولو قدر أحد أن يدفع هذا عن نفسه لدفعه يحيى بن سعيد، فما رأيت أعقل منه، ونحو هذا ...».

٢ – وسئل سماحة الشيخ العلامة عبدالعزيز بن باز عن ظاهرة ارتفاع الأصوات بالبكاء؟ فأجاب بقوله: «لقد نصحت كثيراً مما اتصل بي بالحذر من هذا الشيء، وأنه لا ينبغي، لأن هذا يؤذي الناس، ويشق عليهم، ويشوش على المصلين، وعلى القارئ، فالذي ينبغي للمؤمن أن يحرص على أن لا يسمع صوته بالبكاء، وليحذر من الرياء، فإن الشيطان قد يجره إلى الرياء، فينبغي له ألاَّ يؤذي أحداً بصوته، ولا يشوش عليهم، ومعلوم أن بعض الناس ليس ذلك باختياره، بل يغلب عليه من غير قصد، وهذا معفو عنه، إذا كان بغير اختياره، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه إذا صلى يكون لصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء[(١)]، وجاء في قصة أبي بكر ﷺ أنه كان إذا قرأ لا يسمع الناس من البكاء، وجاء عن عمر ﷺ أنه يسمع نشيجه من وراء الصفوف [(٢)]، ولكن هذا ليس معناه أنه يتعمد رفع صوته بالبكاء، وإنما شيء يغلب عليه من خشية الله ﷻ، فإذا غلبه البكاء من غير قصد، فلا حرج عليه في ذلك [(٣)].

٣ – وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين – حفظه الله –: «**والأصوات التي تسمع أحياناً من بعض الناس هي بغير اختيارهم فيما ظهر، وقد قال**

---

(١) سبق تخريجه والكلام عليه فراجعه غير مأمور .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) الجواب الصحيح من أحكام صلاة الليل والتراويح، لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ﷺ.

العلماء: إن الإنسان إذا بكى من خشية الله فإن صلاته لا تبطل، ولو بان من ذلك حرفان فأكثر، لأن هذا أمر لا يمكن لإنسان أن يتحكم فيه، ولا يمكن أن نقول للناس: لا تخشعوا في الصلاة ولا تبكوا» [1].

❁ * ❁ * ❁

(١) دروس وفتاوى الحرم المكي، للشيخ حفظه الله.

أقسام الالتفات في الصلاة

* قال العلامة الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله: «الالتفات المنهي عنه في الصلاة قسمان:

أحدهما: التفات القلب عن الله عز وجل إلى غير الله – تعالى .

والثاني: التفات البصر، وكلاهما منهي عنه.

ولا يزال الله مقبلاً على عبده ما دام العبد مقبلاً على صلاته، فإذا التفت بقلبه أو بصره، أعرض الله – تعالى – عنه.

وقد سئل رسول الله ﷺ عن التفات الرجل في صلاته، فقال: «**اختلاس، يختلسه الشيطان من صلاة العبد**»، ومثل من يلتفت في صلاته ببصره أو بقلبه مثل رجل قد استدعاه السلطان، فأوقفه بين يديه، وأقبل يناديه، ويخاطبه، وهو في خلال ذلك يلتفت يميناً وشمالاً، وقد انصرف قلبه عن السلطان، فلا يفهم ما يخاطب به، لأن قلبه ليس حاضراً معه.

فما ظن هذا الرجل أن يفعل به السلطان؟!

أفليس أقل المراتب في حقه أن ينصرف من بين يديه ممقوتاً مبعداً، قد سقط من عينيه؟!

فهذا المصلي لا يستوي والحاضر القلب المقبل على الله – تعالىٰ – في صلاته، الذي قد أشعر قلبه عظمة من هو واقف بين يديه، فامتلأ قلبه من

هيبته، وذلت عنقه له، واستحيا من ربه – تعالى – أن يقبل على غيره، أو يلتفت عنه، فبين صلاتهما كما قال حسان بن عطية: «إن الرجلين ليكونان في الصلاة الواحدة، وإن ما بينهما في الفضل كما بين السماء والأرض»[1].

وذلك أن أحدهما مقبل بقلبه على الله ﷻ، والآخر ساه غافل.

فإذا أقبل العبد على مخلوق مثله وبينه وبينه حجاب لم يكن إقبالاً، ولا تقريباً، فما الظن بالخالق ﷻ؟!

وإذا أقبل على الخالق ﷻ وبينه وبينه حجاب الشهوات والوساوس، والنفس مشغوفة بها، ملآنة منها، فكيف يكون ذلك إقبالاً، وقد ألهته الوساوس والأفكار، وذهبت به كل مذهب؟!

والعبد إذا قام في الصلاة، غار الشيطان منه، فإنه قد قام في أعظم مقام، وأقواه وأغيظه للشيطان، وأشده عليه، فهو يحرص، ويجتهد كل الاجتهاد أن لا يقيمه فيه، بل لا يزال به، يعده، ويمنّيه، وينسيه، ويجلب عليه بخيْله، ورجله، حتى يهون عليه بشأن الصلاة، فيتهاون بها، فيتركها، فإن عجز عَن ذلك مَنه، وعصاه العبد، وقام في ذلك المقام، أقبل عدو الله – تعالى – حتى يخطر بينه وبين نفسه، ويحول بينه وبين قلبه، فيذكره في الصلاة ما لم يذكر قبل دخوله فيها، فربما كان قد نسي الشيء والحاجة، وأيس منها، فيذكره إياها في الصلاة ليشغل قلبه بها، ويأخذه عن الله ﷻ، فيقوم فيها بلا قلب، فلا ينال من إقبال الله – تعالى – وكرامته وقربه ما يناله المقبل على ربه ﷻ، الحاضر بقلبه في صلاته، فينصرف من صلاته مثل ما دخل فيها بخطاياه وذنوبه وأثقاله، لم تخف عنه بالصلاة، فإن الصلاة إنما تكفر سيئات من أدى حقها، وأكمل خشوعها،

(١) الصلاة ومقاصدها، للحكيم الترمذي (ص٨١).

ووقف بين يدي الله – تعالى – بقلبه وقالبه. فهذا إذا انصرف منها وجد خفة من نفسه، وأحس بأثقال قد وضعت عنه، فوجد نشاطاً، وراحة وروحاً، حتى يتمنى أنه لم يكن خرج منها؛ لأنها قرة عينيه، ونعيم روحه، وجنة قلبه، ومستراحه في الدنيا، فلا يزال كأنه في سجن، وضيق، حتى يدخل فيها، فيستريح بها، لا منها.

فالمحبون يقولون: «نصلي فنستريح بصلاتنا»، كما قال إمامهم وقدوتهم ونبيهم: «**يا بلال! أرحنا بالصلاة**»[(١)]، ولم يقل: أرحنا منها، وقال ﷺ: «**جُعلت قرة عيني في الصلاة**»[(٢)]، فمن جعلت قرة عينه في الصلاة، كيف تقر عينيه ﷺ بدونها؟!، وكيف يطيق الصبر عنها؟! فصلاة هذا الحاضر بقلبه الذي قرة عينه في الصلاة، هي التي تصعد ولها نور وبرهان، حتى يستقبل بها الرحمن ﷻ.

أما صلاة المفرّط المضيِّع لحقوقها وحدودها وخشوعها، فإنها تلف كما يلف الثوب الخلق، ويضرب بها وجه صاحبها[(٣)].

❁ * ❁ * ❁

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٣٦٤) من طريق مسعر بن كرام عن عمر بن مرة عن سالم بن الجعد عن رجل عن النبي ﷺ، وأبو داود برقم (٤٩٨٥) (٣/ ٩٤١)، صحيح أبي داود بلفظ «يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها»، وقال الألباني «صحيح».

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ١٢٨)، والنسائي (٧/ ٦١)، وصححه الألباني صحيح الجامع (١/ ٥٩٩).

(٣) الوابل الصيب، انظر (ص٣٥).

الصلاة المقبولة وأقسام العمل المقبول

«الصلاة المقبولة»:

أن يصلي العبد صلاة تليق بربه ﷻ، فإذا كانت صلاة تصلح لربه – تبارك وتعالى –، وتليق به، كانت مقبولة.

والمقبول من العمل قسمان:

أحدهما: أن يصلي العبد، ويعمل سائر الطاعات، وقلبه متعلق بالله ﷻ، ذاكر الله ﷻ على الدوام، فأعمال هذا العبد تعرض على الله حتى تقف قبالته، فينظر الله ﷻ إليها، فإذا نظر إليها، رآها خالصة لوجهه، مرضية، وقد صدرت عن قلب سليم، مخلص محب لله ﷻ متقرب إليه، أحبها ورضيها وقبلها.

والقسم الثاني: أن يعمل العبد الأعمال على العادة، وينوي بها الطاعة والتقرب إلى الله، فأركانه مشغولة بالطاعة، وقلبه لاه عن ذكر الله، وكذلك سائر أعماله، فإذا رفعت أعمال هذا إلى الله ﷻ لم تقف تجاهه، ولا يقع نظره عليها، ولكن توضع حيث توضع دواوين الأعمال، حتى تعرض عليه يوم القيامة، فتميز، فيثيبه على ما كان له منها، ويرد عليه ما لم يرد وجهه بها منها. فهذا قبوله لهذا العمل: إثابته عليه بمخلوق من مخلوقات، من القصور، والأكل، والشرب، والحور العين. وإثابة الأول رضى العمل لنفسه، ورضاه عن معاملة عامله، وتقريبه منه، وإعلاء درجته ومنزلته، فهذا يعطيه بغير حساب، فهذا لون، والأول لون»[1].

❁ * ❁ * ❁

(١) المصدر السابق.

الأسباب المعينة على الخشوع

١ – الإيمان الصادق بالله تعالى:

ومعرفته – جل في علاه – بأسمائه وصفاته، لأن الله يقول: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾، فذكر الإيمان وأردفه بذكر الخشوع، والإيمان يكسب العبد خشية وخضوعاً، ويمنحه خشوعاً وإخباتاً، ويضفي عليه راحة لا مثيل لها، وطيب نفس يفوق الوصف، كما أنه يمنح صاحبه صفاء يفتح البصيرة، ويمنح القلب شحنه متوقدة من الخشية والتذلل للإله العظيم.

أما من لم يتذوق الإيمان، ولم يتصل قلبه بخالق هذا الوجود ولا يشعر بسننه التي لن تجد لها تبديلاً ولا تحويلاً، فيظل حيران، لا يرى، ولا يبصر إنعام الله في هذا الكون، ومن كان كذلك فهو بعيد عن الخشوع، وعن الإنابة والإخبات.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «إن ما في القلب من معرفة الله ومحبته وخشيته، وإخلاص الدين له، وخوفه ورجائه، والتصديق بأخباره وغير ذلك، مما يتباين الناس فيه، ويتفاضلون تفاضلاً عظيماً، ويقوى ذلك كلما ازداد العبد تدبراً للقرآن وفهماً، ومعرفة بأسماء الله وصفاته وعظمته، وتفقره إليه في عبادته، واشتغاله به، بحيث يجد اضطراره إلى أن يكون تعالى معبوده ومستغاثه أعظم من اضطراره إلى الأكل والشرب، فإنه لا صلاح له إلا أن يكون الله هو معبوده الذي يطمئن إليه، ويأنس به، ويلتذ بذكره، ويستريح به، ولا حصول لهذا إلا بإعانة الله، ومتى كان للقلب إله غير الله فسد، وهلك هلاكاً لا صلاح معه، ومتى لم يُعنه الله على ذلك لم يصلحه، ولا حول ولا قوة إلا به، ولا ملجأ ولا

منجا منه إلا إليه .. »[1].

٢ – تدبر القرآن :

حيث حث الله – جل ذكره – على تدبر هذا الكتاب، وتأمل مواعظه، وما فيه من العبر والعظات، فهو معين لا ينضب، وزاد لا ينتهي، وقد بين الله أن لا عذر في ترك تدبره، فإنه لو خوطب بهذا القرآن الجبال، لرأيتها – على صلابتها – تخر خاشعة متصدعة من خشية الله: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾[الحشر: ٢١].

وكذلك القلوب المتفتحة النيرة التي تتلقى القرآن في وجل وارتعاش، وفي تأثر شديد تقشعر منه الجلود، ثم تهدأ النفوس، وتأنس القلوب بهذا القرآن، فتلين جلودهم وقلوبهم، وتطمئن بذكر الله، وتنشرح له، وتندى به.

﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزمر: ٢٣]، ثم يغلبهم التأثر، فلا تكفي الألفاظ في التعبير عما يجيش في قلوبهم من الخشية والخشوع، فإذا الدموع تتهامل وتنطلق معبرة عن هذا التأثر الغامر، الذي يتلوه اطمئنان باهر.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩].

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢٢/ ٦٠٦).

٣ – ذكر الله تعالى والإكثار منه:

ففيه الأنس واللذة، وفيه الشعور بالإخبات والذل للعلي الأعلى، وفيه يجد المؤمن راحته وسكينته.

* إن ذكر الله ليورث المؤمن الخشية العميقة التي لا يعرفها إلا الذين خالطت بشاشة الإيمان قلوبهم، فاتصلت بذكر الله.

* إنهم يعرفونها، لا يملكون بالكلمات أن ينقلوها إلى الآخرين، الذين لم يذوقوها، لأنها فوق الكلمات، وأكبر من أن يعبر عنها بكلمات، إنها طمأنينة تسري في القلب، فيستروحها ويهش لها، ويندى بها، ويستريح إليها، ويشعر بالإيمان يسري بين جوانحه وخلاياه من جراء ذكر الله تعالى، وحسبك إخبار مقلب القلوب: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

* فكن يا أخي – طالب الخشية والخشوع – عامراً لقلبك بذكر مولاك، واعلم أن للذكر فوائد تفوق الحصر، وقد أورد فيها بحثاً نفيساً ممتعاً الإمامُ ابن قيم الجوزية رحمه الله وذلك في كتابه النافع المستطاب «الوابل الصيب»[1].

---

(١) راجع الكتاب (ص٨٤)، فقد ذكر أن للذكر أكثر من مائة فائدة، وسرد منها ثلاثاً وسبعين فائدة، ولأهمية هذه الفوائد نقتطف منها ما يلي:

١- أنه يطرد الشيطان ويقمعه ويكسره.

٢- أنه يرضي الرحمن – عز وجل –.

٣- أنه يزيل الهم والغم عن القلب.

٤- أنه يقوي القلب والبدن، وينور الوجه والقلب.

٥- أنه يورث الإنابة، وهي الرجوع إلى الله.

٤ – المجاهدة :

وذلك بأن تعلم أنك في حرب وصراع مع العدو الدائم اللدود، الذي يتربص بك، ويتحين الفرص، فاحذر أن تضعف أمامه في لحظة من اللحظات، فاحرص أن تجمع نفسك قبل الدخول في الصلاة، فلا تُحرم بالصلاة إلا بنفس قوية مجتمعة، وفكر متدبر، وقلب حاضر، فإذا دخلت في الصلاة فلا تستسلم له في وسطها، أو في آخرها، بل ينبغي أن تجاهد الشيطان حتى اللحظة الأخيرة من صلاتك، فالشيطان يسعى إلى تشتيت الذهن، حتى لا يعقل المصلي شيئاً من صلاته، وروى مسلم عن عثمان بن أبي العاص ﷺ أنه قال: يا رسول الله، إن الشيطان حال بيني وبين صلاتي، وبين قراءتي، يُلبّسها علي، فقال رسول الله ﷺ: **«ذاك شيطان يقال له خنزب، فإذا أحسسته، فتعوذ بالله منه، واتفل عن يسارك ثلاثاً»**، قال عثمان ففعلت ذلك فأذهبه الله ﷻ عني [(١)]، إذاً ينبغي أن يستمر المصلي في المجاهدة، ولا ينقطع بأن يشمر عن ساعد الجد، فإذا لم يخشع

٦- أنه يورث القرب من الله فعلى قدر ذكره لله يكون قربه منه، وعلى قدر غفلته يكون بعده منه.

٧- أنه يورثه ذكر الله تعالى له، كما قال تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ ، ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها كفى بها فضلاً وشرفاً.

٨- أن الذكر نور للذاكر في الدنيا، ونور له في قبره، ونور له في معاده، يسعى بين يديه على الصراط، فما استنارت القلوب والقبور بمثل ذكر الله.

٩- أن في القلب قسوة، لا يذيبها إلا ذكر الله تعالى، فينبغي للعبد أن يداوي قسوة قلبه بذكر الله تعالى.

١٠- أنه يورث حياة القلب، ونقل عن شيخ الإسلام أنه كان يقول: الذكر للقلب مثل الماء للسمك، فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء؟

(١) أخرجه مسلم (١٤/ ١٨٩- نووي).

في هذه الصلاة، فليعقد العزم على الخشوع في الأخرى، وإن قل خشوعه في هذه، فليحرص على كمال الخشوع في التي تليها، وهكذا .. ولا يتضجر من طول المجاهدة.

٥ - **تعظيم الموقف:**

* قال ذو النون – رحمه الله تعالى – في وصف العباد: «لو رأيت أحدهم، وقد قام إلى صلاته، فلما وقف في محرابه، واستفتح كلام سيده، خطر على قلبه أن ذلك المقام هو المقام الذي يقوم الناس فيه لرب العالمين، فانخلع قلبه، وذهل عقله».

* «والعبد إذا قام في صلاته، غار الشيطان منه، فإنه قد قام في أعظم مقام، وأقربه وأغيظه وأشده عليه، فهو يحرص ويجتهد كل الاجتهاد ألا يقيمه فيه، بل لا يزال به، يعده، ويمنيه، وينسيه، ويجلب عليه بخيله ورجله، حتى يهون عليه شأن الصلاة، فيتهاون بها فيتركها»[1]. فإذا عصاه العبد وقام في هذا الموقف، فإن الشيطان يُضعف رهبةَ الموقف في نفس العبد، حتى لا يجعله يرى فرقاً بين هذا الموقف وبين أي موقف آخر، فإذا علمت هذا يا أخي – طالب الحق – فلا يخفى عليك أنك بصلاتك تتقرب إلى مولاك، وهو صاحب العظمة والعز والكبرياء، أفيليق بك أن تتقرب إليه بصلاة جوفاء خالية من الخشوع والخوف؟، فاعرف – رعاك الله – عظم الموقف، عَلَّ ذلك يحدوك بأن تصلي صلاة الخاشعين، وتتبصر عظمة من تقف بين يديه، عسى أن يكون ذلك حافزاً قوياً، كي تؤديها أداء القانتين لربهم، ﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾.

---

(١) الوابل الصيب، للعلامة ابن قيم الجوزية.

٦ – إدراك لذة العبادة في الصلاة :

* تلك اللذة التي لا يدانيها في سماء الحياة أي لذة.

* ذلك السمو الرفيع، والشعور العالي، والنعمة العظمى، إنها نعمة لا يعرفها إلا من ذاقها، نعمة ترفع العمر، وتباركه، وتزكيه، يذوق فيها المؤمن ما لا يذوق في حياته كلها، حين يقوم المؤمن في صلاته، وهو خاضع مستكين.. هادئ النفس.. مطمئن السريرة، قرير الضمير.. منكسر الخاطر، يعيش في هذه اللحظات التي هي الزاد له في طريقه إلى ربه، وهي المعين العذب الزلال، الذي به يسقي قلبه ويغذي به فؤاده، كي يرتقي في حياة الإيمان، ويحلق في سمائه، فلذا كان إمام أهل الإيمان، وقائد الخاشعين صلوات الله عليه، يقول: **«يا بلال أرحنا بالصلاة»** [1]، فهي الراحة الدائمة للنفوس المطمئنة، الواثقة بربها، المؤمنة بآخرتها، لكي تشعر من خلالها أنها تناجي من بيده ملكوت كل شيء، والقادر على كل شيء، فتخشع له جوارحهم، لتكون محصلتهم الجنة التي وعد الله بها عباده المؤمنين.

* هذه اللذة التي يجدها العباد في صلاتهم هي التي عبر عنها ابن تيمية رحمه الله بقوله: «إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة»، ولا نظن أن مسلماً وجد هذه اللذة، وهذه الراحة الرائقة، وذاق طعمها يفرط فيها، ويتساهل في طلبها، والحصول عليها، ولذة الصلاة هذه إنما تقوى بقوة المحبة،

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٣٦٤)، من طريق مسعر بن كرام عن عمر بن مرة عن سالم بن الجعد عن رجل أن النبي ﷺ، وأبو داود برقم (٤٩٨٥) (٣/ ٩٤١) «صحيح أبي داود» بلفظ «يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها»، وقال الألباني: «صحيح».

وتضعف بضعفها، فانفر أخي – أيدك الله بروح منه –، وشمر إلى العلياء السامقة، إلى الجنة الزكية التي إن لم تذقها لم تذق جنة الآخرة .. إلى ذلك المرتع الزكي، وذلك المرتقى العالي، وذلك النور الوضيء.. انهض بصدق في العزيمة، وقوة في المجاهدة، وإخلاص في القصد..، شمر وانهض إلى «**الخشوع في الصلاة**»، فهي اللذة التي إن لم تذقها في الدنيا ندمت في الآخرة.

٧ – الطمأنينة وعدم العجلة في الصلاة:

* اعلم أخي – أيها المخبت والمنيب – إن كنت ممن رام الخشية، والخشوع وطلب الزيادة منهما، فإن أداء الصلاة بأناة وتمهل، وبطمأنينة بلا تعجل من صميم الخشوع وضروریاته، والعجلة في الصلاة غالباً ما تكون سبباً في ضياع الخشوع وذهابه، وقد جاء عن أبي مسعود البدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تجزئ صلاة الرجل حتى يقيم ظهره في الركوع والسجود**» [(١)]، وفي حديث أبي هريرة الآخرة في قصة الرجل المسيء صلاته، حيث أداها بغير طمأنينة، ولا تؤدة، فقال له الرسول ﷺ لما رآه كذلك: «**ارجع، فصل؛ فإنك لم تصل**»، ردده ثلاثاً [(٢)]، كما ورد عن أنس أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**تلك صلاة المنافق، يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني الشيطان، قام فنقرها أربعاً، لا يذكر الله فيها إلا قليلاً**» [(٣)].

* قال ابن تيمية رحمه الله: «وإذا كان الخشوع في الصلاة واجباً، وهو متضمن للسكون والخشوع، فمن نقر نقر الغراب لم يخشع في سجوده، ومن لم يطمئن لم

---

(١) أخرجه أبو داود برقم (٨٥٥)، والترمذي (١/ ٢٢٦)، والنسائي (٢/ ١٨٣)، وابن ماجه برقم (٨٧٠)، وصححه الألباني.

(٢) البخاري (٢/ ٢٧٧)، ومسلم (٤/ ١٠٦ - نووي).

(٣) أخرجه مسلم (٥/ ١٢٣ - نووي).

يسكن، ومن لم يسكن لم يخشع في ركوعه، ولا في سجوده، ومن لم يخشع كان آثماً عاصياً»(١).

٨ - المحاسبة :

* وهي دوام محاسبة النفس، ولومها، وعتابها، على ما لا ينبغي من الأعمال والأقوال، التي يزاولها المسلم في يومه وليلته، فعسى أن يكون ذلك العتاب دفعة قوية؛ لأن تستقيم النفس، وترتسم النهج الأسمى، وتسلك الطريق الأقوم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الحشر: ١٨]، ومن استقامة النفس، وسلوكها للطريق الأقوم أداء الصلاة على نهج ما كان يؤديها إمام البشر، وسيد الخاشعين صلوات الله عليه، فقد كان مر بنا **«يصلي وفي صدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء»**(٢)، وذلك نتيجة ثمرة خشوعه ﷺ.

* فحاسب نفسك أخي - مبتغي الخشوع -، علك أن تحظى بحظوة تسعد فيها دنيا وأخرى، وقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: **«حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتزينوا للعرض الأكبر»**(٣).

* وعاتب نفسك أخي، لم لا تلتحق بركب: ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾ [المؤمنين: ٢]، ولم لا تنتظم في قافلة الذين: ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ

(١) الفتاوى (٢٢/ ٥٥٨).
(٢) سبق تخريجه.
(٣) تاريخ عمر، لابن الجوزي (ص٢٠١).

خُشُوعًا ﴾ [الإسراء: ١٠٩].

٩ – التخلص من الدنيا وشوائبها حين الصلاة:

* إننا جميعاً – إلا من رحمه الله – حين نقف في الصلاة ونؤديها لا تنفك أذهاننا عن الدنيا، ومتاعها الرديء، فنصلي والقلب يسبح، ويخوض في بحور الدنيا، ومستنقعها الآسن.

* عجباً لنا !! كيف ننادى إلى الصلاة !!، وإلى الوقوف أمام رب الأرض والسموات!!، ننادى هذا النداء العلوي الجليل، ثم ننصرف عنه، ونرتكس في الحمأة الوبيئة (الدنيا)!!، عجباً لا ينقضي ولا ينتهي أمده !!، كيف أن الله يدعونا إلى الصلاة، وإلى مناجاته، وإلى الخلوة به، ثم نتناسى ذلك، ونسقط في حبائل الدنيا ومتاعها الزهيد، وبهرجها الخّداع، وزينتها الفانية.

* إن الوقت كله مبذول للدنيا، فكيف نبخل بلحظات نجعلها في خلوة من بيده ملكوت كل شيء؟ وهو القادر على كل شيء.

* تنبه يا أخي، واستيقظ من رقادك العميق، إن فرّغت قلبك من الدنيا ومتاعها، وشوائبها، واستعنت بربك، وعملت بالأسباب السالفة، لتخشعن في صلاتك، ولتجدن لذة مناجاتك لربك، فاجتهد، ولا تعجزن – والله معك–.

١٠ – عدم الحركة في الصلاة إلا لضرورة:

* فإن كثرة حركة المصلي في صلاته تصرفه عن الخشوع، وتشغله عن التدبر، وعن حضور القلب في الصلاة.

* وسكون الجوارح من أكبر ما يعين على حضور القلب، ويبعث على

الخشوع، والخشية، وقد جاء عن جابر بن سمرة ﷺ، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ، والناس رافعو أيديهم فقال: «**ما لي أراكم رافعي أيديكم كأنها أذناب خيل شمس؟ اسكنوا في الصلاة ..**»(١)(٢)، قال شيخ الإسلام: «فقد أمر رسول الله ﷺ بالسكون في الصلاة، وهذا يقتضي السكون فيها كلها» (٣).

* فكن يا أخي – مريد الحق – على علم بهذا؛ علك ترشد.

١١- **التبكير إلى المسجد :**

* اعلم أخي – رعاك ربي – أنك كلما بكرت في الذهاب حين الصلاة إلى المسجد، واتبعت سنة نبيك ﷺ في ذلك، أتحت لنفسك جواً روحياً يجمع شتاتها، ويغمر قلبك بالخشوع والخشية، وقد ورد عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**لو يعلم الناس ما في النداء، والصف الأول، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا. ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه**» (٤)، قال صاحب عون المعبود ﷺ قوله: «**والصف الأول**» أي: في القرب من الله تعالى، والبعد عن الشيطان الرجيم، «**على مثل صف الملائكة**»، قال الطيبي: شبه الصف الأول في قربهم من الإمام بصف الملائكة في قربهم من الله تعالى (٥)، فاحرص أخي على هذه السنة – المهجورة إلا عند نزر من الكبار –، ولا تفتك وقد سمعت بهذا الفضل الآنف، وفرق بين شخصين، أحدهما: جاء إلى الصلاة من مجلس لغو

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ١٥٢- نووي).

(٢) قال النووي – رحمه الله – على هذا الحديث: «فيه الأمر بالسكون في الصلاة والخشوع فيها والإقبال عليها»، شرح مسلم (٤/ ١٥٤).

(٣) الفتاوى (٢٢/ ٥٦١).

(٤) أخرجه البخاري (٢/ ٩٥٥، رقم ٢٥٤٣)، ومسلم (١/ ٣٢٥، رقم ٤٣٧).

(٥) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ج ٣ ص ١٣٧.

وحديث في الدنيا، والآخر: شرع فيها، وقد هيأ قلبه قبل ذلك، وفرغه من الدنيا، فالثاني أقرب إلى الخشوع غالباً، وحاله أفضل من الأول.

١٢- ألا تصلي بحضرة طعام، ولا وأنت تدافع الأخبثين:

وقد ورد النهي عن الصلاة في هاتين الحالتين، وما ذلك إلا لأن القلب يكون غير حاضر؛ فيفقد صفة الخشوع التي هي لب الصلاة، فلهذه العلة في: «**لا صلاة بحضرة الطعام، ولا وهو يدافعه الأخبثان**»[(١)].

قال النووي بعد أن ذكر هذا الحديث وجملة من الأحاديث في معناه: «في هذه الأحاديث كراهة الصلاة بحضرة الطعام الذي يريد أكله؛ لما فيه من اشتغال القلب به، وذهاب كمال الخشوع، وكراهتها مع مدافعه الأخبثين، وهما: البول، والغائط. ويلحق بهذا ما كان في معناه مما يشغل القلب، ويذهب كمال الخشوع، وهذه الكراهة عند جمهور أصحابنا وغيرهم إذا صلى كذلك وفي الوقت سعة، فإذا ضاق بحيث لو أكل أو تطهر خرج وقت الصلاة صلى على حاله، محافظة على حرمة الوقت، ولا يجوز تأخيرها»[(٢)].

* إذا فهمت هذا يا أخي – يا من رام الحق – فظني بك أنك قد أدركت الأهمية البالغة، التي قد حاز عليها الخشوع، فحريٌّ بك، وحقيق أن تسعى بكل جهدك، وبكل ما أوتيت من قدرة أن تكون من ركب «الخاشعين»، وأن تسير سيراً حثيثاً إلى مرضاة ربك؛ حتى تصبح من: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ١٨].

❁ * ❁ * ❁

(١) أخرجه مسلم (٥/ ٤٧- نووي)، طبعة دار الكتب.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ج ٥ ص ٤٦.

آثار وثمرات الخشوع

١ – الاستجابة لله ولرسوله ﷺ:

وهذه الاستجابة ليس المقصود بها استجابة اللسان فحسب، بل استجابة اللسان والقلب والجوارح. إذ إن المؤمن حين يرق قلبه ويخشع، وحين تخضع جوارحه وتستكين، وحين يلبي ذلك النداء العلوي: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ﴾، يصبح قد سلك في ركب ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾، ويلحق في موكب ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾.

إنه موكب الاستجابة السريعة، والطاعة الحقة، التي لا يعتريها تردد، ولا تخاذل، لأنهم قد ربوا نفوسهم المؤمنة على ذلك المنهج الأصيل، والطريق القويم.

فالأذن تسمع، واللسان ينطق، والقلب يعي، والجوارح تعمل، فالخاشع مستجيب لأمر الله ﷻ، ممتثل لما أمره به مولاه، ولو لم يكن في الخشوع إلا هذه لكفت، فكيف إذا انضم إليها فوائد أخرى، كل فائدة آخذة بزمام أختها.

٢ – محبة العبد للعبادة :

لا شك أن أجمل اللحظات هي تلك اللحظات التي يقف فيها العبد بين يدي ربه يناجيه، ويتضرع إليه يرجو رحمته ويخاف عذابه، عند ذلك ينسى العبد الدنيا وما فيها، ويتخلص القلب من كل الشواغل التي تصرفه عن سيده وخالقه، فهو يجد في الصلاة أنساً وسروراً ولذة، لا يعادله أنس ولا سرور ولا لذة، وهذا دأبه في الصلاة حتى ينتهي منها. فإذا انتهى من صلاته وجد نشاطاً

وراحة، وشوقاً إلى الصلاة الأخرى، فهذه العبادة هي ربيع قلبه، وهي بمنزلة الماء للشجرة، فكيف يكون حال الشجرة إذا انقطع عنها الماء؟

لذلك لا نتعجب إذا رأينا شوق الخاشعين للعبادة، أو سمعنا عنه، فالحال أكبر من الوصف، فهم يحبون أي عمل يحبه سيدهم، وحال هؤلاء يبلغ بهم درجة الإحسان؛ لأنهم يعبدون الله تعالى على المراقبة.

* إن العبد حين يمتلك هذه المزية، ويبلغ هذه المنزلة، يصبح في جو من الإيمان رفيع، ويسمو ويعلو، ويجد أنه في عالم غير هذا العالم الذي يتخبط فيه الناس، ويتهارشون، ويركضون وراءه، ويتصارعون.

لذا .. فهذه المحبة لها شأن كبير، ولها في النفس تأثير عميق عجيب، فـ«هي المنزلة التي فيها تنافس المتنافسون، وإليها شخص العاملون، وإلى علوها شمر السابقون، وعليها تفانى المحبون، وبروح نسيمها تروّح العابدون، فهي قوت القلوب، وغذاء الأرواح، وقرة العيون، وهي الحياة التي من حرمها فهو من جملة الأموات، والنور الذي من فقده فهو في بحار الظلمات، والشفاء الذي من عدمه حلّت بقلبه جميع الأسقام، واللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام، وهي سمة هذه الطائفة المسافرين إلى ربهم، الذين ركبوا جناح السفر إليه»[1].

* وهذه المحبة إذا غُرست شجرتها في قلب صاحبها، وسقاها بماء الإخلاص، أثمرت ثمراً يانعاً، وآتت أكلها كل حين بإذن ربها، أصلها ثابت في قرار القلب، وفرعها متصل بسدرة المنتهى.

---

(١) مدارج السالكين، لابن القيم.

٣ – دوام الصلة بالله – تعالى – :

* وهذه سمة من أبرز ثمار الخشوع وآثاره، فأنت ترى القلب الخاشع التقي، دائم الصلة بمولاه، كثير اللجوء إليه، كثير التوجه إليه، لأن قلبه يتدفق خشية ورقة، وينبض بالحيوية والحياة، يشرق بالنور، ويشع بالإيمان، كل ذلك من جراء صلته الدائبة بالعلي الأعلى، فهو يرتكز إليه في كل ما هو آت من أعماله، ويركن إليه في يسره وعسره، ويتوجه إليه في قلبه وجوارحه.

* ترى الخاشع يلتجئ إلى الله عند كل خطب وجلل، ويعتصم به عند كل مفزع ومطمع.

* هو في كل صغيرة وكبيرة لا يعرف إلا الله؛ لأنه قد تيقن أنه ﴿لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ﴾ [التوبة: ١١٨].

* هو في كل ما دق وكبر لا يقصد غير الله؛ لأنه قد ـ ولطالما ـ رفع يديه – من هذا وصفه –، داعياً ربه، وسائلاً :

يا من يرى ما في الضمير ويسمع	أنت المُعَد لكل ما يتوقع
يا من خزائن ملكه في قول «كن»	يا من إليه المشتكى والمفزع
يا من يرجى للشدائد كلها	امنن؛ فإن الخير عندك أجمع

* حقاً إن الصلاة الخاشعة صلة بين العبد وربه تعالى، تنبثق وتترسب تلك الصلة إلى مجالات رحبة، وإلى ساحات فسيحة من حياة ذلك المؤمن الخاشع الصادق، هو في كل ذلك يتزود من أحلى زاد، وينهل من أعذب مورد، وذلك المورد والزاد هو «**الصلاة الخاشعة**».

* إنه دائم الصلة بربه، في يومه وليلته، عند اليقظة.. وفي أثناء الليل.. وعند إدبار النجوم.. وفي كل وقت وبرهة.

* إنه إذا أذنب استغفر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أعطى شكر.

* وهذه منزلة عظيمة، لا يحسب المسلم أنه يصل إليها بالتكاسل والتواني، بل هي منزلة حري بطالبها أن يشمر عن ساعد الجد، ويجتهد، وألا يلتفت إلى قواطع الطريق، وعوائق السير، التي نَجّت أناساً، وأردت بآخرين، ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الملك: ٢٢]، فلا بد من المتابعة، والمحاسبة، ولا بد من الصبر، والمصابرة.

٤ - الالتذاذ بالعبادة والأنس بالله تعالى:

من أجل ثمار الخشوع التي يكسبها صاحبه: اللذة الإيمانية العظيمة، والأنس بالله تعالى، وانشراح الصدر الذي يلمسه الخاشع ويجده، وقد سبق الإشارة إلى ذلك في موضع سابق، ولأهمية هذه الثمرة نكررها تأكيداً.

* إنها اللذة والسرور والأنس، الذي لا يعرفه إلا الموفقون.

* وقد وجد تلك اللذة الإيمانية، وعايشها شيخ الإسلام ابن تيمية، ولا سيما وهو سجين، لكنه كان في قمة السعادة، وأعلاها؛ لأنه جعل من السجن فرصة لأن يخلو بربه ومولاه، وقد وصف حاله تلك بقوله:

«ولقد فتح الله سبحانه من أبواب فضله ونعمته، وخزائن جوده ورحمته بما لم يكن يخطر بالبال، ولا يدور في الخيال، وكانت أمور عللية كالجبال، ما يصل الطرف إليها، يسّرها الله تعالى، حتى صارت مقاعد، وهذا يعرف بعضه

بالذوق (يقصد الذوق الشرعي لا البدعي).

ومن له نصيب من معرفة الله، وحقائق الإيمان به، وما هو مطلوب الأولين والآخرين من أهل العلم والإيمان، فإن اللذة والفرح والسرور وطيب الوقت والنعيم الذي لا يمكن التعبير عنه، إنما في معرفة الله وحده، والأنس به، كما قال بعض الشيوخ: «لقد كنت في حال أقول فيها: إن كان أهل الجنة في مثل هذه الحال إنهم لفي عيش طيب»، وقال آخر: «إنه ليمر على القلب أوقات يرقص فيها طرباً، وليس في الدنيا نعيم يشبه نعيم الآخرة، إلا نعيم المعرفة والإيمان»، ولهذا كان النبي ﷺ يقول: «**أرحنا بالصلاة يا بلال**»[1].

٥ — السكينة والوقار:

السكينة صفة وسمة من صفات الخاشعين، تبدو على محياهم، وعلى حركاتهم وسكناتهم.

والسكينة لفظ معبر مصور ذو ظلال، والسكينة حين ينزلها الله في قلب، تكون طمأنينة وراحة، ويقيناً وثقة، ووقاراً وثباتاً، واستسلاماً ورضى.

* إن السكينة الوقورة الهادئة هي التي تليق بقلب المؤمن الخاشع الموصول بربه، الساكن بهذه الصلة، المطمئن بما فيه من ثقة، المراقب لربه في كل خالجة وكل حركة، فلا يتبطر، ولا يطغى، ولا يغضب لذاته، إنما يغضب لربه ودينه، فإذا أمر أن يسكن ويهدأ خشع وأطاع في رضى وطمأنينة.

وأصل السكينة هي الطمأنينة والوقار، والسكون الذي ينزله الله في قلب عبده، عند اضطرابه من شدة المخاوف، فلا ينزعج بعد ذلك لما يرد عليه،

---

(١) تقدم تخريجه.

ويوجب له زيادة الإيمان، وقوة اليقين والثبات، ولهذا أخبر سبحانه عن إنزالها على رسوله ﷺ، وعلى المؤمنين في مواضع القلق والاضطراب، كيوم الهجرة، إذ هو وصاحبه في الغار، والعدو فوق رأسيهما، لو نظر أحدهم إلى ما تحت قدميه لرآهما، وكيوم حنين، حين ولوا مدبرين من شدة بأس الكفار، لا يلوي أحد منهم على أحد، وكيوم الحديبية حين اضطربت قلوبهم من تحكم الكفار عليهم.

ولو تأملنا أحوال الخاشعين لوجدنا أن قلوبهم مطمئنة، وجوارحهم ساكنة وخاشعة، وألسنتهم بالحق ناطقة، وقد ذكر الله ﷻ السكينة التي بمعنى الطمأنينة، «والتي نحن بصددها» في خمسة مواضع:

الأول: قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: ٢٦].

الثاني: قوله تعالى: ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ [التوبة: ٤٠].

الثالث: قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [الفتح: ٤].

الرابع: قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الفتح: ١٨].

الخامس: قوله تعالى: ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الفتح: ٢٦].

❁ * ❁ * ❁

(فتوى / وتوجيه)

س: ما حكم من يحصل له حضور القلب في الصلاة تارةً، ويحصل له الوسواس تارةً أخرى، وهل تكون تلك الوساوس مبطلة للصلاة؟ أو منقصة لها أم لا؟ وما هو التوجيه الصحيح لقول عمر ﷺ: «**إني لأجهز الجيش وأنا في الصلاة**»، وهل ذلك ينافي كمال خشوع عمر ﷺ.

أجاب شيخ الإسلام – رحمه الله تعالى -: «الحمد لله رب العالمين، الوسواس لا يبطل الصلاة إذا كان قليلاً، باتفاق أهل العلم، بل ينقص الأجر، كما قال ابن عباس: «ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت منها»، وفي السنن عن النبي ﷺ قال: «**إن العبد لينصرف من صلاته، ولم يكتب له منها إلا نصفها، إلا ثلثها، إلا ربعها، إلا خمسها، إلا سدسها، إلا سبعها، إلا ثمنها، إلا تسعها، إلا عشرها**»[(١)].

ولا ريب أن الوسواس كلما قل في الصلاة كان أكمل، كما في الصحيحين عن عثمان ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**إن من توضأ نحو وضوئي هذا، ثم صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه، غفر له ما تقدم من ذنبه**»[(٢)].

وكذلك في الصحيح أنه قال: «**من توضأ، فأحسن الوضوء، ثم صلى ركعتين يقبل عليهما بوجهه وقلبه، غفر له ما تقدم من ذنبه**»[(٣)]، وكذلك في الصحيح، أنه قال: «**من توضأ الوضوء، ثم صلى ركعتين يقبل عليهما بوجهه**

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٢٥٩- فتح)، ومسلم (٣/ ١٠٥- نووي).

(٣) سبق تخريجه بلفظ «... وجبت له الجنة».

وقلبه، غفر له ما تقدم من ذنبه».

وما زال في المصلين من هو كذلك، كما قال سعد بن معاذ ﷺ: «فيَّ ثلاث خصال، لو كانت في سائر أحوالي أكون فيهنَّ: كنت أنا أنا، إذا كنت في الصلاة لا أحدث نفسي بغير ما أنا فيه، وإذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً لا يقع في قلبي ريب أنه الحق، وإذا كنت في جنازة لم أحدث نفسي بغيرها، ما تقول ويقال لها؟».

وأما ما يروى عن عمر بن الخطاب ﷺ من قوله: «إني لأجهز الجيش، وأنا في الصلاة»، فذلك لأن عمر كان مأموراً بالجهاد، فهو أمير المؤمنين، فهو أمير الجهاد، فصار بذلك من بعض الوجوه بمنزلة المصلي الذي يصلي صلاة الخوف حال معاينة العدو، إما حال القتال، وإما غير حال القتال؛ فهو مأمور بالصلاة، ومأمور بالجهاد، فعليه أن يؤدي الواجبين بحسب الإمكان، وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

ومعلوم أن طمأنينة القلب حال الجهاد لا تكون كطمأنينته حال الأمن، فإذا قدر أنه نقص من الصلاة شيء لأجل الجهاد لم يقدح هذا في كمال إيمان العبد وطاعته، ولهذا تخفف صلاة الخوف عن صلاة الأمن، فلما ذكر الله سبحانه وتعالى صلاة الخوف قال: ﴿فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣]، فالإقامة المأمور بها حال الطمأنينة لا يؤمر بها حال الخوف، ومع هذا: فالناس متفاوتون في ذلك، فإذا قوي إيمان العبد كان حاضر القلب في الصلاة، مع تدبره للأمور بها.

وعمر قد ضرب الله الحق على لسانه وقلبه، وهو المحدث الملهم، فلا ينكر لمثله أن يكون له مع تدبيره جيشه في الصلاة مع الحضور ما ليس لغيره، لكن لا ريب أن حضوره مع عدم ذلك يكون أقوى، ولا ريب أن صلاة رسول الله ﷺ حال أمنه كانت أكمل من صلاته حال الخوف، في الأفعال الظاهرة، فإذا كان الله قد عفى حال الخوف عن بعض الواجبات الظاهرة، فكيف بالباطنة.

وبالجملة: فتفكر المصلي في الصلاة في أمر يجب عليه قد يضيق وقته، ليس كتفكيره فيما ليس واجباً، أو فيما لم يضق وقته، وقد يكون عمر لم يمكنه التفكُّر في تدبير الجيش إلا في تلك الحال، وهو إمام الأمة، والواردات عليه كثيرة، ومثل هذا يعرض لكل أحد بحسب مرتبته، والإنسان دائماً يذكر في صلاته ما لا يذكره خارج الصلاة، ومن ذلك ما يكون من الشيطان، كما يذكر أن بعض السلف: «ذكر له رجلَ أنه دفن مالًا وقد نسي موضعه، فقال: قم فصل، فقام وصلى، فذكره، فقيل له: من أين علمت ذلك؟ قال: علمت أن الشيطان لا يدعه في الصلاة حتى يذكره بما يشغله، ولا أهم عنده من ذكر موضع الدفن»، لكن العبد الكيّس يجتهد في كمال الحضور، مع كمال فعله بقية الأمور، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم» ا. هـ[1].

❁ * ❁ * ❁

(١) مجموع فتوى شيخ الإسلام (٢٢/ ٦٠٣- ٦١٠).

الخاتمة

* إن أهمية هذا الموضوع تكمن في أنه يتعلق بالركن الركين، والأساس العظيم، الذي هو الصلاة، وهي الفريضة الأولى من فرائض هذا الدين، وهي الانطلاقة الكبرى التي منها يستقى كل خير وبر ودين، وهي التي قال فيها رسول الله ﷺ: «... **إن أول ما يحاسب الناس به يوم القيامة من أعمالهم الصلاة..** »[1].

* وإن الإخلال بشيء من أعمال الصلاة، أو شرائطها، أو آدابها هو نقص وشرخ في الصلاة، وإن من أبرز ما ينتقصه المسلمون اليوم «الخشوع فيها»، إذ لا يكون التأثير الذي ذكـره الله بقوله: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ إلا به.

ويتلخص العلاج الأسنى لفقدان الخشوع في عدة أمور منها:

١ – معرفة قدر الصلاة وعظمها؛ والمكانة السامية التي تحله من هذا الدين: ويتضح ذلك ظاهراً، أو جلياً، فيما جاء من أدلة ونصوص في كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ في هذا الشأن.

٢ – معرفة قدر وعظم من يقف العبد بين يديه، وهو ربه، الله الإله الكبير المتعالي، فلعل ذلك يحدوه بأن يصلي بين يديه صلاة خاشعة، وأن يستحيي أن يصلي صلاة جوفاء ميتة خالية من معاني الخشوع.

٣ – معرفة الطرق والوسائل المساعدة والجالبة للخشوع، والعمل بها،

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٤٢٥).

والمجاهدة الصادقة في الحوز عليها، وتوفيرها حين أداء الصلاة، وحريٌّ بك أن تراجع الموضوع المتقدم بعنوان «**الأسباب المعينة على الخشوع**»، فهو مُهم وجيد، وفيه جملة طيبة من الوسائل المعينة على الخشوع.

٤ – معرفة الأمور المنافية للخشوع، والأشياء المانعة منه، والأسباب المفقدة للخشوع، بذهابه أو نقصانه، وذلك للحذر منها ومباعدتها.

٥ – معرفة فضل الخشوع، وثمراته، ونتائجه، وآثاره النافعة الطيبة العائدة بالخير على الفرد، والمعينة في بناء الأمة، وتقويم مجتمعاتها، حين إحراز ذلك، والحصول عليه منهم.

٦ – الوقوف على سيرة أسلافنا الصالحين، وما كانوا عليه في صلاتهم من الخشوع، فلعل الوقوف على سيرتهم يكون حافزاً ودافعاً يستحث الهمم، ويُذكي الاهتمام، ويبعث الحرص، ويدفع إلى الأمام.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المراجع

١- القرآن الكريم.
٢- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدالله محمد القرطبي رحمه الله.
٣- المحرر الوجيز، للقاضي أبي محمد عبدالحق بن عطية الأندلسي رحمه الله.
٤- التفسير الكبير، للفخر الرازي.
٥- تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله.
٦- في ظلال القرآن، لسيد قطب رحمه الله.
٧- صفوة الآثار والمفاهيم، للشيخ عبدالرحمن الدوسري رحمه الله.
٨- فتح الباري، بشرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله.
٩- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعيني رحمه الله.
١٠- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للقسطلاني رحمه الله.
١١- صحيح مسلم بشرح النووي رحمه الله.
١٢- سنن أبي داود.
١٣- صحيح أبي داود للألباني.
١٤- عون المعبود شرح سنن أبي داود، لشمس الحق العظيم آبادي.
١٥- بذل المجهود في حل سنن أبي داود، للسهارنفوري رحمه الله.
١٦- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، للمباركفوري رحمه الله.
١٧- عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي، لابن العربي رحمه الله.
١٨- سنن النسائي رحمه الله.
١٩- سنن ابن ماجه رحمه الله.

٢٠- مسند الإمام أحمد رحمه الله.
٢١- المسند بتحقيق أحمد شاكر رحمه الله.
٢٢- الفتح الرباني، للبنا .
٢٣- الموطأ، للإمام مالك .
٢٤- تنوير الحوالك شرح موطأ الإمام مالك، للسيوطي رحمه الله.
٢٥- أوضح المسالك إلى موطأ الإمام مالك، لمحمد زكريا الكاندهلوي رحمه الله.
٢٦- صحيح ابن حبان (الإحسان بترتيب ابن حبان).
٢٧- صحيح ابن خزيمة .
٢٨- مسند أبي يعلى .
٢٩- مسند الشهاب القضاعي.
٣٠- السنن الكبرى، للبيهقي .
٣١- المستدرك للحاكم .
٣٢- الترغيب والترهيب، للمنذري رحمه الله.
٣٣- صحيح الترغيب والترهيب، للألباني .
٣٤- السلسلة الصحيحة للألباني – حفظه الله –.
٣٥- صحيح الجامع الصغير وزيادته للألباني – حفظه الله –.
٣٦- شرح السنة، للبغوي رحمه الله.
٣٧- سبل السلام شرح بلوغ المرام، للصنعاني رحمه الله.
٣٨- رياض الصالحين، للنووي رحمه الله.
٣٩- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.
٤٠- المجموع شرح المهذب، للنووي رحمه الله.

٤١- زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم رحمه الله.
٤٢- كتاب تعظيم قدر الصلاة، لابن نصر المروزي.
٤٣- كتاب الصلاة ومقاصدها، للحكيم الترمذي رحمه الله.
٤٤- كتاب الصلاة، لابن القيم رحمه الله.
٤٥- كتاب مختصر قيام الليل، لابن نصر المروزي رحمه الله.
٤٦- الوابل الصيب، لابن القيم رحمه الله.
٤٧- مدارج السالكين، منـازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم رحمه الله.
٤٨- تهذيب مدارج السالكين، لعبدالمنعم العزي.
٤٩- القاموس المحيط للفيروز آبادي رحمه الله.
٥٠- إحياء علوم الدين، للغزالي رحمه الله.
٥١- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم رحمه الله.
٥٢- تاريخ عمر، لابن الجوزي رحمه الله.
٥٣- صفة الصفوة، لابن الجوزي رحمه الله.
٥٤- شعب الإيمان، للبيهقي رحمه الله.
٥٥- اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى لابن رجب رحمه الله.
٥٦- الخشوع في الصلاة، لابن رجب رحمه الله.
٥٧- الخشوع وأثره في بناء الأمة، لسليم الهلالي.
٥٨- دروس وفتاوى الحرم المكي، لابن عثيمين – حفظه الله –.
٥٩- البكاء عند قراءة القرآن، للحيدان.
٦٠- الخشوع في الصلاة، للصباغ.
٦١- كيف تخشعين في الصلاة، لرقية بنت محارب – جزاها الله خيراً –.

٦٢- صافي الينبوع في الأسباب المعينة على الخشوع، لمجموعة طلبة علم.
٦٣- الجواب الصحيح في أحكام الليل والتراويح، لابن باز – حفظه الله –.
٦٤- المنهاج، الجزء الأول، لابن باز – حفظه الله –.
٦٥- الصلاة الخاشعة من الصلاة النافعة، لأحمد قلاش – حفظه الله –.
٦٦- مذكرة الخشوع في الصلاة – من شرح بلوغ المرام، للشيخ سلمان العودة – حفظه الله –.
٦٧- الآداب الشرعية من هدي خير البرية، لابن تيمية، تحقيق الهلالي .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

فهرس المحتويات

المقدمة ٥
تعريف الخشوع: ٧
الخشوع في اللغة: ٧
الأدلة على أهمية الخشوع وفضله: ٨
فائدة: ٣٨
أخبار وآثار عن الخشوع عند السلف الصالح رضي الله عنهم ٤٤
(١) خشوع الصديق رضي الله عنه: ٤٥
(٢) خشوع الفاروق رضي الله عنه: ٤٦
(٣) خشوع عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: ٤٧
(٤) خشوع تميم الداري رضي الله عنه: ٤٧
(٥) خشوع سعد بن معاذ رضي الله عنه: ٤٨
(٦) خشوع أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه: ٤٨
(٧) خشوع عبدالله بن الزبير رضي الله عنه: ٤٩
(٨) خشوع عمر بن عبدالعزيز رحمه الله: ٤٩
(٩) خشوع ثابت البناني رحمه الله: ٤٩
(١٠) خشوع سعيد بن جبير رحمه الله: ٥٠
(١١) خشوع الحسن بن صالح رحمه الله: ٥٠
(١٢) خشوع محمد بن المنكدر رحمه الله: ٥٠
(١٣) خشوع الربيع بن خثيم رحمه الله: ٥١

(١٤) خشوع مسلمة بن بشار رحمه الله: ٥١
(١٥) خشوع محمد بن كعب القرظي رحمه الله: ٥١
(١٦) خشوع هارون بن رياب الأسدي رحمه الله: ٥٢
(١٧) خشوع الفضيل بن عياض رحمه الله: ٥٢
(١٨) خشوع سليمان التيمي رحمه الله: ٥٢
(١٩) خشوع عامر بن عبد القيس رحمه الله: ٥٢
(٢٠) خشوع إبراهيم التيمي رحمه الله: ٥٣
(٢١) خشوع عطاء رحمه الله: ٥٣
(٢٢) خشوع يحيى بن وثاب رحمه الله: ٥٣
حكم الخشوع في الصلاة ٥٤
القول الأول: الوجوب: ٥٤
القول الثاني: عدم الوجوب: ٥٦
درجات الخشوع: ٥٧
الدرجة الأولى «وجل القلب»: ٥٧
الدرجة الثانية «قشعريرة الجلد»: ٥٧
الدرجة الثالثة «البكاء»: ٥٧
الدرجة الرابعة «لين القلب والجلد معاً»: ٥٨
الدرجة الخامسة «السكينة»: ٥٨
الدرجة السابعة «الطمأنينة»: ٦٠
صفات الخاشعين كما يصورهم القرآن ٦٢
الصفة الأولى: أنهم يخافون الله لا: ٦٢
الصفة الثانية: أنهم يبكون من خشية الله: ٦٢

الصفة الثالثة: الصبر على ما أصابهم: ٦٣
الصفة الرابعة: اليقين بلقاء الله، وأنهم إليه راجعون: ٦٤
ارتفاع الأصوات بالبكاء ٦٦
أقسام الالتفات في الصلاة ٦٩
الصلاة المقبولة وأقسام العمل المقبول ٧٢
الصلاة المقبولة: ٧٢
والمقبول من العمل قسمان: ٧٢
الأسباب المعينة على الخشوع ٧٣
١ – الإيمان الصادق بالله تعالى ٧٣
٢ – تدبر القرآن : ٧٤
٣ – ذكر الله تعالى والإكثار منه: ٧٥
٤ – المجاهدة : ٧٦
٥ – تعظيم الموقف: ٧٧
٦ – إدراك لذة العبادة في الصلاة : ٧٨
٧ – الطمأنينة وعدم العجلة في الصلاة: ٧٩
٨ – المحاسبة : ٨٠
٩ – التخلص من الدنيا وشوائبها حين الصلاة: ٨١
١٠ – عدم الحركة في الصلاة إلا لضرورة: ٨١
١١ – التبكير إلى المسجد : ٨٢
١٢ – ألا تصلي بحضرة طعام، ولا وأنت تدافع الأخبثين: ٨٣
آثار وثمرات الخشوع ٨٤
١ – الاستجابة لله ولرسوله ﷺ: ٨٤

٢ – محبة العبد للعبادة : ٨٤
٣ – دوام الصلة بالله – تعالى – : ٨٦
٤ – الالتذاذ بالعبادة والأنس بالله تعالى: ٨٧
٥ – السكينة والوقار : ٨٨
(فتوى / وتوجيه) ٩٠
الخاتمة ٩٣
المراجع ٩٥

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

سفينة النجاة
لطالب الخشوع في الصلاة

لفضيلة الشيخ
عبد العزيز بن عبد الكريم العقل

مدار الوطن للنشر
www.madar-alwatan.com